صناعة الكتاب المكي

من خلال كتاب "فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي"

للشيخ عبد الستار الدهلوي (١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م)

إعداد

أ.د. حياة بنت منور الرشيدي

أستاذ بقسم التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية

جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية

صناعة الكتاب المكي من خلال كتاب "فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي" للشيخ عبد الستار الدهلوي (١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م)

حياة بنت مناور الرشيدي

قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: hmrasheedi@uqu.edu.sa

المستخلص:

تَعنى هذه الدراسة بإلقاء الضوء على صناعة الكتاب المكي من خلال التراجم التي أوردها الشيخ عبد الستار الدهلوي (ت ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م) في كتابه " فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي"، حيث ظهر في هذه الفترة والممتدة من أوائل القرن الثالث عشر وحتى قبيل وفاة المصنف عام ١٣٥٥هـ عدد من علماء مكة عرفوا بعلمهم وأدبهم، وراجت بغزارة مؤلفاتهم ومعها حركة تأليف الكتب ونسخها وجمعها وبيعها والمتاجرة بها، وانتشرت المكتبات العامة والخاصة، وامتلأت بالكتب الموقوفة على طلبة العلم دون مقابل أو أجر، وقد تتبعت ما كان متعلقاً بصناعة الكتاب من خلال تراجم "فيض الملك الوهاب المتعالي". فقد غطى المؤلف أعيان حواضر العالم الإسلامي في زمنه، فترجم لأعيان أهل الحجاز وبلاد الشام، ومصر، والعراق، والأحساء، والمغرب، والهند، وجاوة. وأكثرهم من أهل الحجاز. ويهدف البحث إلى: (١) بيان صناعة الكتاب المكي، (٢) ملامح صناعة الكتاب المكي من خلال حرفة الوراقة وفئات الوراقين، (٣) جهود الوراقين في ظهور المكتبات الخاصة والوقفية.

الكلمات المفتاحية: صناعة، الكتاب، المكي، المجتمع المكي، الوراقة، الوراقين.

Al-Wahhab Al-Muta'ali bi-Anba'a of the Early Thirteenth Century and Successive" by Sheikh Abdul Sattar al-Dahlawi (1355 AH / 1936 AD)

Hayat bint Manawir al-Rashidi
History Department, College of Social Sciences, Umm al-Qura University, Saudi Arabia
E-mail: hmrasheedi@uqu.edu.sa

Abstract:

This study aims to shed light on the Meccan book industry through the biographies provided by Sheikh Abdul Sattar Al-Dahlawi (d. 1355 AH/1936 AD) in his book "Fayd Al-Malik Al-Wahhab Al-Muta'ali bi-Anba'a Awa'il Al-Qarn Al-Thalath Ashar Wa Al-Tawali." During this period, which extended from the beginning of the thirteenth century until just before the author's death in 1355 AH, a number of Meccan scholars appeared who were known for their knowledge and literature. Their works became popular in abundance, along with the movement of composing, copying, collecting, selling, and trading books. Public and private libraries proliferated and were filled with books donated to students of knowledge without charge or payment. I have traced what was related to the book industry through the biographies of "Fayd al-Malik al-Wahhab al-Muta'ali." The author covered the notables of the capitals of the Islamic world during his time, and wrote biographies of the notables of the people of the Hijaz, the Levant, Egypt, Iraq, al-Ahsa, Morocco, India, and Java. Most of them were from the Hijaz. The research aims to: (1) a description of the Meccan book industry. (2) Features of the Meccan book industry through the papermaking profession and the

categories of papermakers. (3) The efforts of papermakers in the emergence of private and endowed libraries.

Keywords: Industry, Book, Meccan, Meccan Society, The Papermaking, Categories of Papermakers

المقدمة:

الحمد لله الذي رفع شأن العلم وحملته، ومدحهم في كتابه الكريم بقوله: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ}(١). والصلاة والسلام على سيد خلقه، وخاتم رسله، نبينا محمد بن عبد الله الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، وعلمه فأحسن تعليمه، وامتن عليه بنعمة العلم، وأمره بطلب الزيادة فيه مع ما أعطاه من العلم والحكمة، فقال مخاطباً له: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً}(٢)، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد...

فهذه الدراسة تبين صناعة الكتاب المكي من خلال التراجم العلمية التي أوردها الشيخ عبد الستار الدهلوي (ت١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م) في كتابه " فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي" وقدتم ذلك من خلال مقدمة ومحورين.

وشملت الدراسة مقدمة: بها أسباب اختيار البحث وأهميته، ومشكلته وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة فيه. وجاءت الدراسة في تمهيد ومحورين، خصصت التمهيد للتعريف بمصطلحات البحث. وجاء المحور الأول في معرفة ملامح صناعة الكتاب المكي من خلال تراجم كتاب "فيض الملك الوهاب المتعالي". أما المحور الثاني فأفردته في إظهار مدى انعكاس هذه الصناعة على إذكاء ودعم وتوسيع دائرة الثقافة ونشرها في المجتمع المكي، وأنهيت الدراسة بختمة رصدت فيها أهم نتائج البحث، وتوصياته. وفيما يلي نشر لعناصر الدراسة:

---

(١) سورة الزمر، آية: ٩.

(٢) سورة طه، آية: ١١٤.

أسباب اختيار لموضوع، وبيان أهميته:

أسباب اختيار الموضوع:

دفعني للكتابة في هذا الموضوع أمور ومن أهمها:

- ما كنت ولا أزال أعلمه وأسمعه عن مكانة مكة المكرمة في صناعة الكتاب، فأحببت أن يكون ذلك واضحاً من خلال الدراسة.
- أحببت أن أبين مدى حرص الإسلام على الجوانب العلمية والحضارية وسبق العالم كله في ذلك من حيث استمداده من كلام رب العالمين، وسنة النبي الكريم ﷺ.

أهمية الموضوع:

حيث إن المعلومات الثابتة عن صناعة الكتاب المكي قليلة ومتفرقة في بطون الكتب؛ فإن العناية بجمعها مما يفيد في إبراز جانب من جوانب تاريخ مكة الحضاري والثقافي والعلمي خلال فترة البحث.

- إبراز ما تقوم به المراكز العلمية والثقافية في مكة من جهود طيبة لإظهار الدور الحضاري لمكة عبر العصور، فقد كان الاهتمام بصناعة الكتاب المكي وتجارة الكتب، واهتمام المجتمع المكي بذلك جلياً مما أدى إلى إعلان مكة أول عاصمة للثقافة الإسلامية، وإعلان هذا العام ٢٠٢٥م عام الحرف، وحرفة صناعة الكتب من أظهرها.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في سؤال رئيس، وهو:

- ما هي أبرز وجوه صناعة الكتاب المكي في فترة الدراسة؟

ويتفرع من ذلك عدد من الأسئلة:

١] ما هي أنواع الخطوط التي نسخت بها الكتب المكية؟

٢] ما هي أنواع خزائن الكتب التي ظهرت في مكة؟

٣] ما خصائص صناعة الكتاب المكي بعد ظهور المطابع؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى عدة أمور:

١] بيان صناعة الكتاب المكي من خلال تراجم المكيين والمجاورين بها.

٢] ملامح صناعة الكتاب المكي من خلال حرفة الوراقة وفئات الوراقين ودورهم في إثراء السوق المكي بالكتب.

٣] جهود الوراقين في ظهور المكتبات الخاصة والوقفية وزيادتها في المجتمع المكي.

وقد وجدت أن بحث (صناعة الكتاب المكي من خلال كتاب فيض الملك المتعالي)؛ يفي بإيضاح هذه الأهداف كلها، وبالله التوفيق.

حدود البحث:

الحد الموضوعي: هذا البحث يتناول موضوع صناعة الكتاب المكي من خلال تتبع التراجم الواردة في كتاب "فيض الملك المتعالي".

الحد الزماني: رصد صناعة الكتاب المكي في الفترة الزمنية للبحث والتي تبدأ بأوائل القرن الثالث عشر الهجري إلى قبيل وفاة المصنف سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م ببضع سنين [(١)].

الحد المكاني: اقتصار الدراسة على صناعة الكتاب في مكة المكرمة.

الدراسات السابقة:

لا توجد دراسة تكشف صناعة الكتاب المكي بحدود البحث الموضوعية والزمانية والمكانية التي سبق ذكرها، إلا أن ثمة بحوث تتقاطع معه ويمكن الاستفادة منها، ومنها:

(١) أخر ترجمة توقف عندها الشيخ أرخ سنة وفاتها بعام ١٣٥٠هـ. انظر: الدهلوي: فيض الملك، ص: ٥١. ٥٢.

كتاب بعنوان: "الحياة العلمية في مكة (١١١٥هـ/ ١٣٣٤هـ) . (١٧٠٣م/ ١٩١٦م)". لسعادة: أ.د. آمال رمضان عبد الحميد صديق. دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

ويتناول الحديث مكانة مكة الدينية في العالم الإسلامي، ومظاهر الحياة العلمية في مكة، من اهتمام الدولة العثمانية وولاتها والأهالي بالتعليم، وبروز الأسر العلمية بها، ورحلات الحج والعمرة وأثرها في تشجيع العلاقات العلمية بين مكة والبلدان الإسلامية. ودور العلم ومؤسساته، والتي شملت المسجد الحرام ومساجد مكة، والكتاتيب والمدارس، كما شملت الدراسة نظم التعليم ومسيرته والإنفاق عليه، وتناول الكتاب النتاج العلمي لعلماء مكة، وجهودهم في التأليف وبيان مصنفاتهم العلمية، إضافة إلى اهتمامهم بالمكتبات وخزائن الكتب.

بحث بعنوان: " الأوضاع في الحجاز خلال الفترة من ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م إلى ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م – دراسة تاريخية حضارية للباحثة أريج بنت مسحل القثامي، (رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، عام ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

وتتناول الدراسة الأحوال الداخلية في الحجاز فترة الدراسة، وعلاقات الحجاز الخارجية والقوى المجاورة نفس الفترة، والأحوال الحضارية والاقتصادية في الحجاز، وقدم الكثير من المعلومات القيمة عن الجوانب العلمية في مكة ودور العلماء في حركة التأليف والتصنيف مما أسهم في تطور صناعة الكتاب المكي.

وأيضاً الكتاب الذي عملت عليه، وهو تحقيق كتاب فيض الملك المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي للشيخ عبد الستار الدهلوي (١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م)، وقد احتوى على (١٨٠٠) ترجمة من تراجم المكيين، تمكنت الباحثة من استخلاص صناعة الكتاب منها بمختلف صورها، والحمد لله.

منهج البحث:

اعتمد البحث على عدد من المناهج ألا وهي:

تتبعنا في دراستنا المنهج الاستقرائي: الذي يبدأ بدراسة الجزئيات، وبعد ذلك وصلنا للعموميات. وكذلك المنهج الوصفي: فبعد تحديد مشكلة البحث، تم جمع أكبر قدر من المعلومات عنها، وفي ضوء ذلك يتم وضع فرضيات لحل المشكلة، ودراسة المادة العلمية وتحليلها بموضوعية. كما اتبعنا المنهج التاريخي في قدرته على دراسة الظاهرة في الفترات الماضية، وكذلك في الواقع، ومن ثم إعطاء مؤشرات لما ستكون عليه الأوضاع في المستقبل. كما اقتضى البحث اعتماد المنهج الإجرائي: وذلك بعزو الآيات القرآنية إلى سورها مع بيان رقم الآية، تخريج الأحاديث النبوية، ترجمة الأعلام، شرح بعض المصطلحات وغريب الكلمات. واكتفيت في التوثيق، بذكر المصدر أو المرجع مع بيان رقم الصفحة، وما يتعلق بذكر سائر معلومات الكتاب إنما يكون في فهرس المصادر والمراجع. التزمت رموزا معينة لإفادة المعاني الآتية: "الطبعة: ط، الصفحة: ص – التاريخ الهجري: هـ، التاريخ الميلادي: م"، سنة الوفاة: ت، العدد: ع، السنة : س.

التمهيد:

صناعة الكتاب من الصناعات المشهورة على مر التاريخ، وكي يتضح مصطلح "صناعة الكتاب"، لا بد من معرفة معناه في معاجم اللغة العربية، ففي "مختار الصحاح"[١]: جاءت كلمة: (الصنع) بالضم مصدر قولك: (صنع) إليه معروفا. وصنع به (صنيعا) قبيحا أي فعل. و(الصناعة) بالكسر حرفة الصانع وعمله (الصنعة)]، وفي "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير"[٢]: صنعته أصنعه صنعا والاسم الصناعة والفاعل صانع والجمع صناع والصنعة عمل الصانع. وفي "معجم اللغة العربية المعاصرة"[٣]: صناعة [مفرد]: والجمع صناعات (لغير المصدر) وصنائع (لغير المصدر): مصدر صنع.. أرباب الصناعات: أصحاب الحرف. وهي كل علم أو فن مارسه الإنسان حتى يمهر فيه ويصبح حرفة له كالحياكة والطب وغيرها". وفي "معجم لغة الفقهاء"[٤]: الصناعة: بكسر الصاد وفتحها، والجمع صنائع وصناعات، المزاولة اليدوية لإيجاد الأشياء.

والكتاب المكي: هو الكتاب المنسوب لمكة المكرمة. وفي "مقاييس اللغة"[٥]: "(كَتَبَ) الْكَافُ وَالتَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى جَمْعِ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ. مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابُ وَالْكِتَابَةُ. يُقَالُ: كَتَبْتُ الْكِتَابَ أَكْتُبُهُ كَتْبًا". وفي "مختار الصحاح"[٦]: (كتب) من باب نصر و(كتابا) أيضا و(كتابة). و(الكتاب) أيضا الفرض والحكم والقدر. و(الكاتب) عند العرب العالم، ومنه

(١) الرازي، مادة (ص. ن. ع)، ص:١٧٩.

(٢) الفيومي، (ص ن ع)، ٣٤٨/١.

(٣) مجموعة من العلماء، (ص ن ع)،١٣٢٤/٢- ٣٠٥٦.

(٤) القلعجي، ص: ٢٧٧.

(٥) ابن فارس، ١٥٨/٥.

(٦) الرازي، (ك ت ب)، ص: ٢٦٦.

قوله تعالى: {أم عندهم الغيب فهم يكتبون}[1]. و(الكُتَّاب) بالضم والتشديد (الكتبة). و(الكتاب) أيضا و(المكتب) واحد والجمع (الكتاتيب) و(المكاتب). و(الكتيبة) الجيش. و(اكتتب) أي كتب"، وفي "معجم لغة الفقهاء"[2]: "الكتابة: بكسر الكاف مصدر كتب الكتاب: خطه: وهو ما يكتب في القرطاس من الكلام". ويدخل في ذلك الكثير من الأمور من النسخ والتصحيح والتراجم، بل وجمع خزائن الكتب، والوراقة، ونحو ذلك، وهو من الأمور المهمة في نشر العلم على مر العصور.

كتاب "فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي" هو كتاب من كتب التراجم والطبقات، ألفه الشيخ عبد الستار الدهلوي (ت ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م) قد اجمع المترجمون للدهلوي أنه قد انتهى من تأليفه في ربيع الأول من عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م، ثم أضاف له المؤلف بعض الإضافات من تراجم ومعلومات وقف عليها بعد هذا التاريخ، فقد ترجم لبعض أعيان مكة وذكر سنة وفاتهم والتي أرخت في عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م[3]. ويعتبر كتابه امتدادا لكتب التراجم المؤلفة على القرون، وغطى فيه رجال قرنين من الزمان هما القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجري، شملت تراجم أعيان حواضر العالم الإسلامي، إذ احتوى الكتاب على (١٨٠٠) ترجمة، وتبدو أهميته بصورة أكبر في تراجم المكيين من رجال القرنين، فقد توسع في تراجمهم بصورة أكبر، لذلك كان مصدرا هاما لكل من له همة في تاريخ البلد الأمين، وقد تفاوتت التراجم طولا وقصرا، وإيجازًا وبسطا، ومنهج الشيخ في الترجمة تبدأ بترجمة اسم المترجم له وجد واحد من

(١) سورة الطور، الآية: ٤١.

(٢) مجموعة من العلماء، ص: ٣٧٧.

(٣) انظر: الدهلوي: فيض الملك، ص: ٥١. ٥٢.

أجداده، في حين إذا كانت نسبة المترجم إلى بلدة مغمورة فانه يعين مكانها ويضبطها بالحروف، أما إذا كان صاحب الترجمة شاعرا أورد شيئاً من شعره وذكر مناسبتها، ويورد للمترجم مصنفات في حالة معرفته بها، ورتب كتابه على حروف الهجاء، وتنوعت فيه التراجم من أمير كبير وزاهد فقير وعالم تحرير أو شاعر أو أديب واهتم بتراجم أهل الحجاز وأكثر في تراجمهم واستقصى أحوالهم وذكر شيوخهم وذراريهم، وشمل أيضا تراجم أعلام الشام ومصر والعراق والأحساء ونجد والمغرب والهند وجاوة، وقد قام الشيخ عبد الملك بن عبد الله بن دهيش بتحقيقه ونشره فجاء كتابه في مقدمة وستة مباحث.

ومصنف الكتاب هو: الشيخ عبد الستار بن عبد الوهاب الحنفي الدهلوي، نشأ وترعرع في مكة وطلب العلم واجتهد في تحصيله فأخذه عن مشايخ مكة، وأجيز بالتدريس والتحديث والقراءة بالمسجد الحرام، فقام به خير قيام، تنوعت رحلاته في طلب العلم وتحصيله، فسافر إلى المدينة المنورة وأخذ من علمائها، وتوجه صوب مصر ونال العلم بأروقة الأزهر وعلى كوكبة من مشايخه، كما سافر إلى الطائف والتقى بعلمائه، واعتنى أثناء الطلب وفي رحلاته بجمع تراجم مشايخه وأقرانهم ومشايخهم، فتحصل له الشيء الكثير، وقد أودعها كتبه، كان الدهلوي مؤلفاً بارعاً، وتشهد لهُ مؤلفاته الكثيرة بسعة علمه في شتى العلوم من حديث ومصطلحه والأسانيد والمسلسلات والتاريخ والطبقات فمن مؤلفاته: "تحفة الأحباب في بيان اتصال الأنساب"، "سرد النقول في تراجم العلماء الفحول"، "السلسلة الذهبية في الشجرة الشيبية"، "الأزهار الطيبة النشر في ذكر الأعيان من كل عنصر"،" مائدة الفضل والكرم الجامعة لتراجم أهل الحرم"، وغيرها كثير. ترك الدهلوي مكتبة عامرة بأمهات الكتب التي أهديت لمكتبة الحرم المكي

الشريف بوصية منه، توفي بمكة في الحادي عشر من شهر رجب سنة ١٣٥٥هـ الموافق ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٣٦م، ودفن بالمعلاة[١].

نبذة عن الوضع السياسي بمكة فترة البحث[٢]:

الشيخ عبد الستار الدهلوي عاصر ثلاث دول: الدولة العثمانية، والمملكة الهاشمية، والدولة السعودية، وكان لكل دولة طابعها الخاص، الذي أثر على حياة الدهلوي ومسيرته، فقد شهد الدهلوي السنين الأخيرة من حياة الدولة العثمانية في الحجاز، والتي اتسمت بالاضطرابات السياسية والأمنية، إذ كانت الدولة العثمانية في ذلك الوقت تصارع من أجل البقاء.

ونتيجة لهذه الأوضاع المتردية في الحجاز؛ قام الشريف حسين بن علي بوضع يده في يد إنجلترا، وقاد الثورة العربية على الدولة العثمانية، وأعلن نفسه خليفة على المسلمين في الثامن من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٤٢هـ/ ١٥ يناير ١٩٤٢م[٣].

وفي غضون هذه الأثناء؛ تمكن الملك عبد العزيز آل سعود من توحيد نجد تحت رايته، ثم زحف بقواته على الحجاز، واضطر الشريف الحسين بن علي إلى التنازل عن الحكم لابنه، وغادر البلاد.

بعدها دخل الملك عبد العزيز مكة، ونشر الأمن والأمان فيها، وأمن أهلها على أموالهم وأنفسهم، وفي السنة التالية استسلمت له مدينة جدة، ثم تبع ذلك إعلان المدينة المنورة تبعيتها للملك عبد العزيز في سنة (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م[٤].

---

(١) الدهلوي: نثر المآثر، ص ٧، ٩؛ بيلا: الجواهر الحسان، ٣٣٢/١.

(٢) ملخص من دراسة أ.د. أمال رمضان على كتاب نثر المآثر.

(٣) العثيمين؛ تاريخ المملكة ١٨٩/٢.

(٤) المختار؛ تاريخ المملكة، ٢٨٩/٢-٢٩١.

ولاحقاً في سنة (١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م) صدر مرسوم ملكي بتوحيد البلاد تحت مسمى "المملكة العربية السعودية"، وهو الاسم الذي أطلق على الدولة الفتية في مؤتمر الطائف[١].

(١) المختار، تاريخ المملكة، ٤٩٩/٢.

المحور الأول: معرفة ملامح صناعة الكتاب المكي من خلال تراجم كتاب "فيض الملك الوهاب المتعالي".

وتشمل معرفة من ذكر بحسن الخط، وبيع الكتب، وتصحيحها، والترجمة من غير العربية إلى العربية، والتحشية على الكتب، وغير ذلك.

– فممن ذكره بحسن الخط: "السيد محمد بن عبد الله باعلوي السقاف المكي (١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)، القدوة كان صالحا عابداً تقياً إماماً بمقام الإمام الشافعي. كما أنه أديباً فاضلاً، حسن الأخلاق، كامل الصفات، مفاكهاً، صالحاً، قواماً بالليل، ناظماً للشعر الحسن، ناثراً، حسن الخط، محبوباً لدى السادة الأمراء[١].

ومنهم أيضاً: الشيخ فراج بن سابق الزبيري الحنبلي (ت١٢٤٦هـ/١٨٣٠م). من بلد الزبير[٢]، قرأ العلوم على مشايخ وعلماء بلده، ثم حج وجاور[٣] بمكة، فقرأ على عدد من كبار علماء مكة التفسير والحديث وعلم القراءات والعربية، وأجازوه. وخطه حسن، وله نظم[٤].

---

(١) فيض الملك، ص: ١٦٢٧، ترجمة رقم: ٢١٨٧.

(٢) بلد الزبير، بلدة تقع قرب البصرة بالعراق. فيض الملك، ص: ٩٣٢.

(٣) الجوار كلمة مأخوذة من: جار مجاورة جواراً، والجار هو الذي يجاورك، وأيضا تطلق المجاورة على الاعتكاف في المسجد، أما المجاورة في مكة فيقصد بها المقام والسكنى غير الملتزمة بشرط الاعتكاف الشرعي، وبذلك يبقى المجاور في مكة بجوار الحرم الشريف، بقدر ما يشاء، ويستطيع ممارسة حياته اليومية دون قيد وتنتهي مجاورته بخروجه من مكة أو بوفاته. الفيرزوآبادي: القاموس المحيط، ٣٩٤/١؛ ابن منظور: لسان العرب، ٦٥٣/٤؛ مداح: دور المجاورين في إثراء الحركة العلمية بمكة، ص ٢٧٧.

(٤) فيض الملك، ص: ١٢٨٢، ترجمة رقم ١٧٤٥.

وممن وصفهم الدهلوي بحسن الخط وجودته: الشيخ محمد بن أحمد الحضراوي المكي (ت ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م) قال عنه بأنه: اشتغل بعد وفاة والده بحفظ القرآن غيباً عن ظهر قلب، وبعده بتعليم العلم اللازم، ثم بتعلم الخط، حتى برع فيه مع علم الحساب، حتى كان يتقنه إتقاناً جيداً، ثم اشتغل في أول أمره بالأسفار، ثم تركها ولزم الإقامة، فكان يجلس بباب السلام[١] بمكة يكتب كتب العلم الشريف، حتى نسخ منها جملة كتب، حتى إنه كتب «التحفة» لابن حجر مراراً، و«النهاية» مرة، و«الخضري» و«الباجوري» نحو عشر مرات، و«التحرير» و«ابن قاسم» مراراً عديدة، ثم التزم كتابة القرآن المجيد، فصار يكتبه ربعة بعد ربعة[٢].

ومنهم الشيخ الصباحي، قال عنه الدهلوي: "الشيخ أحمد بن محمد الصباحي المصري الشافعي. العالم الفاضل الجليل، والكامل النبيه النبيل. جاور بالأزهر مدة، وأدرك جملة من الأفاضل؛ كالشيخ القويسني، والشيخ الدمنهوري، والشيخ الفضالي، والشيخ أحمد بن يونس وأقرانهم،.. وأخذ عن بعضهم وعن غيرهم من معقول ومنقول، وهو من أقران الباجوري، ثم اشتغل بعلم الحرف[٣]، فكانت له فيه مَلَكة. وله جملة مؤلفات منها: كتاب

(١) يقع في الجانب الشرقي من المسجد الحرام، وعرف قديماً بباب بني شيبة، وباب بني عبد شمس، وعندما عمر المهدي المسجد الحرام أطلق على الباب باب السلام، وقد جددت عمارته في عهد السلطان العثماني سليمان وقد بقي على متانته وحالته حتى تمت التوسعة الكبرى في العهد السعودي. انظر : حسين باسلامة: عمارة المسجد الحرام، ص:١١٤. ١١٥.

(٢) فيض الملك، ص: ١٥٣١، ١٥٣٢، ترجمة رقم: ٢٠٤٣.

(٣) علم الحروف: هو علم باحث عن خواص الحروف أفراداً وتركيباً، وموضوعه الحروف الهجائية ومادته الأوفاق والتراكيب، ويمكن جعله من فروع علم الحساب من حيث ترتيب الأعداد، ومن فروع علم الهندسة من جهة تعديل تلك الأعداد أو الحروف في الجداول الوقفية مفتاح السعادة ٢/٥٤٧-٥٤٨.

«الفوائد العلية لنفع البرية» في مجلدين، و«إرشاد الماهر إلى كنز الجواهر» في خواص الفاتحة، و«فيض النهر شرح حزب البحر»، و«حاشية على شرح ابن قاسم» في الفقه، و«حاشية على المعراج» للمدابغي، و«حياة الحيوان في منافع الإنسان»، و«شرح عمل اليوم والليلة» في الحديث، وغير ذلك... جاور بمكة مدة، ثم توفي بها سنة نيف وسبعين ومائتين وألف"(١).

ومنهم القاضي أحمد بن إبراهيم بن عيسى (ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م)، قال عنه الدهلوي: "جاور بمكة أعواماً كثيرة طويلة، وقد لازمته، وأجازني أيضاً كما أجاز المرحوم المترجَم، ثم رجع إلى نجد فولي قضاء المجمعة. وتوفي بها وعمره نحو الثمانين، كما قال المترجَم في بعض إجازاته: قرأت عليه في علم التوحيد والفقه الحنبلي، وسمعت منه «شرحه على النونية» في ممجلدين، وكتابه «تنبيه النبيه والغبي»، قد طبع بمصر، ويدل على سعة اطلاعه. وله مؤلفات أخرى، نسخ بخطه الحسن نحو ثمانين جزءاً، كما أخبرني بذلك، ورأيت بعضها. كان حسن المحاضرة، دمث الأخلاق، كثير الحفظ والسكوت، لا يتكلم إلا عن علم. وكتب لي بخطه الحسن إجازة طويلة، كما أجاز كثيراً من فضلاء الهند وغيرهم؛ لأنه يروي عن مشايخ كثيرين"(٢).

وممن احترف بيع الكتاب:

عبد الوهاب الدهلوي (ت ١٣١٣هـ/١٨٩٦م)؛ والد الشيخ عبد الستار، فقد ترجم له فقال: "والدي الشيخ عبد الوهاب الكتبي الدهلوي ثم المكي بن خدا يار بن عظيم حسين يار بن أحمد يار المباركشاهوي

(١) فيض الملك، ص: ١٧٨، ١٧٩، ترجمة رقم ٥٦.

(٢) الدهلوي: فيض الملك، ص: ٢٠٥٤.

البكري، كان ولد بالهند عاصمة آبائه وأجداده في بعد الثلاثين والمائتين والألف، وقرأ القرآن العظيم وحفظه وجوّده، وكان ليس له شغل غيره حتى توفي والده وهو صغير يبلغ العشر سنين بعد الأربعين والمائتين والألف، وجاء للحج مع والدته الشريفة بيكم المشهورة في سنة ١٢٤٩ تسع وأربعين ومائتين وألف (١٨٣٤م)، وقد حج في تلك العام قطب الأقطاب الشهير بأبي سعيد المجددي ومعه ولده العلامة المحدث الشيخ عبد الغني، فأخذ عن محدث دار الهجرة الشيخ محمد عابد السندي سند الحديث وغيره، وعن أستاذه الشيخ إسماعيل المدني، وزار والدي في تلك السنة، ورجع إلى مكة فأقام بها لكون كان بها أخوه عمي الأكبر غلام نبي.. واحترف التجارة وبيع الكتب إلى أن توفي سنة ١٣١٣ ثلاث عشرة وثلاثمائة وألف بمكة (١٨٩٦م)"[(١)].

التحشية على الكتب:

كثر في المجتمع المكي وضع الحواشي والتقييدات والتقريرات على الكتب، وذكر الشيخ عبد الستار منهم: "السيد بكري شطا بن السيد محمد شطا زين العابدين الحسيني المكي الشافعي (ت ١٣١٠هـ/١٣٩٢م). المدرس بالحرم الشريف، العالم الفاضل والحبر الكامل. كان أوحد أهل زمانه وأرشد أقرانه، يلمع نور الصلاح من جبينه وأطرافه. ولد بمكة سنة ١٢٦٦هـ/١٨٥٠م، وتوفي والده بعد ولادته بنحو ثلاثة أشهر، فتربى يتيماً في حجر أخيه السيد عمر شطا. وقرأ على جملة مشايخ، منهم: شيخ الإسلام بمكة السيد أحمد دحلان، حضر عليه مدة ففاق أهل عصره بغاية الأرب، وبرع في علم الفقه والأدب. وألف المؤلفات النافعة، منها: حاشيته

(١) فيض الملك، ص: ١٢٠٥، ترجمة رقم ١٦١٨.

الشهيرة في فقه الشافعية، ومناقب شيخه السيد أحمد المذكور، وغير ذلك من رسائل وتقريرات وحواش على الكتب الدراسية. توفي شهيداً يوم الاثنين ١٣ من ذي الحجة الحرام عام عشرة وثلاثمائة وألف سنة (١٣١٠هـ /١٨٩٢م)"[١].

الترجمة:

ذكر الشيخ الدهلوي منهم: الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن بن قطب الدين، جاور بمكة، وقد أخذ العلوم العقلية والنقلية من المشايخ المشهورين بالهند في عصره، ثم اشتغل بردّ النصارى لما رأى من دعوتهم الناس إلى ملّتهم، فألّف في ردّهم كتباً جيدة اشتهرت غاية الاشتهار، وصارت مقبولة عند العلماء الأخيار، منها: «إزالة الشكوك» في مجلدين ضخمين و«إزالة الأوهام» و«الإعجاز العيسوي»، وكانت كتبة ردا على افتراءات القساوسة، فلما وقع العناد بينه وبين رؤساء الإنكليز في بلده هاجر إلى مكة سنة ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٨م وأقام بها مأموناً، وبها اجتمع على العلاّمة شيخ الإسلام ببلد الله الحرام السيد أحمد بن زَيْني دحلان، فأخذ عنه سند كتب الحديث وغيره من جميع مروياته ومؤلفاته، وأخذ في الهند عن عدد من مشايخ الفقه والحديث، وصنف كتاب: «إظهار الحق»، وقد ابتدأ في تأليفه سنة ١٢٨٠/ ١٨٦٤، وفرغ منه في آخر ذي الحجة في الأستانة[٢]، ثم رجع إلى مكة وأقام فيها"[٣].

---

(١) الدهلوي: فيض الملك، ص: ٣١١؛ ترجمة رقم ٢٦٣.

(٢) الأستانة: الاسم القديم لإستانبول عاصمة الدول العثمانية، ويعني عتبة الباب، والمركز، والتكية الكبيرة. صابان: المعجم الموسوعي، ص: ١٥.

(٣) الدهلوي: فيض الملك، ص: ٥٤٨-٥٥٠، ترجمة رقم: ٦٤٣.

ومن المصححين:

-. الشيخ فردوس المكي، قال الشيخ عبد الستار: "الشيخ عبد الحميد فردوس، المكي، بن العالم الفاضل الشيخ محمد فردوس بن عبد الغني، المكي، الأفغاني، الحنفي. العالم المحقق والفاضل المدقق... إلى أن قال: "وهو مصحح المطبعة الأميرية بمكة المحمية، فلا يقبل إلا قوله، والمرجع إليه غالباً في غالب الأوقات وسائر الأقوال؛ لسعة اطلاعه، ومديد باعه، وثقة معرفته لبراعته وتفوقه"(١).

وممن كان أميناً على المكتبات:

السيد محمود أفندي بن السيد إسماعيل بن عمر بن أحمد الحسيني الحنفي، الشهير بحافظ كتب. نشأ بالأستانة، وحفظ القرآن، واكتسب العلم والمعارف على عدد من الأفاضل، توجه لمجاورة البلد الحرام سنة (١٢٦٢هـ/ ١٨٤٥م) بوظيفة أميناً على الكتبخانة المجيدية (٢).

(١) الدهلوي: فيض الملك، ص: ٧٩٣، ٧٩٤، ترجمة رقم ٩٦٠.

(٢) الدهلوي: فيض الملك، ص: ١٥٥٩، ترجمة رقم: ٢٠٧٢. وفي عام (١٢٥٩هـ/١٨٤٣م) تأسيس مكتبة بالحرم المكي الشريف عرفت بـ "المكتبة المجيدية"، أو "كتبخانة السلطان عبد المجيد" نسبة للسلطان عبد المجيد، كما عرفت باسم "كتب خانة العثمانية"، جمع فيها ما تفرق من مصاحف وكتب بالمسجد الحرام، وبعض مكتبات المدارس المحيطة به، وفي عام (١٢٦٢هـ/١٨٤٥م) تم نقل المكتبة بأمر من السلطان عبد المجيد إلى مبنى المدرسة السليمانية أثر السيول التي أغرقت المسجد الحرام. سالنامة ولاية الحجاز، ع٢، س ١٣٠٣هـ، ص١٢٧.

المحور الثاني: مدى انعكاس هذه الصناعة على إذكاء ودعم وتوسيع دائرة الثقافة ونشرها في المجتمع المكي

جاور بمكة عدد من العلماء، من مختلف المذاهب، فأحيا هذا الكثير من صناعة الكتب، لأنه يشير إلى إذكاء ودعم وتوسيع دائرة الثقافة ونشرها في المجتمع المكي.

- فمن المجاورين من فقهاء الحنفية: الشيخ الصالح العالم محمد فردوس بن محمد بن عبد الغني الأفغاني السليماني، نزيل مكة والمجاور بها، أجازه السيد أحمد دحلان، ولازم دروس الشيخ جمال الحنفي المكي، وبه تخرّج كان عالماً صالحاً فاضلاً حليماً متواضعاً، وتوفي بمكة سنة (١٣٢٤هـ/١٩٠٧م)، ودفن بالمعلاة، وسِنّه في عشر الثمانين"[١].
- ومنهم: "الشيخ حبيب الرحمن بن السيد إمداد علي الهندي –المجاور بالمدينة المنورة–، الردولي الكاظمي الحسيني. ولد ببلدته ردولي سنة ١٢٥٠هـ، كما أخبرني شيخي والده المرحوم، وقرأ جملة من العلوم، وتخرج على المشايخ العظام من أهل بلده. وساح في البلاد الكثيرة لطلب العلم، حتى أنه لقي الشيخ سلام الله من أولاد الشيخ عبد الحق الدهلوي، والشيخ سلامة الله البدايوني الصديقي؛ هما من تلامذة الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي، ثم إنه أتى إلى مصر، وقرأ جملة من العلوم لا سيما القراءات السبعة على الشيخ حسن الجريسي المصري الأزهري، عن شيخه محمد المتولي، وغيرهم. ثم حج وجاور بمكة مدة فقرأ على شيخ الإسلام بمكة

(١) الدهلوي: فيض الملك، ص: ١٦٣٠، ترجمة رقم: ٢١٩٠.

السيد أحمد زَيْنِي دحلان فأجازه في سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٤م، ثم ركض على أقرانه في ميدان القريض"(١).

- ومنهم: الشيخ عبد الحق بن شياه محمد بن يار محمد الإله آبادي. الإمام الفاضل، الفقيه والعالم، الورع النبيه. عين الأعيان وإنسان أهل المحاسن في هذا الأوان، إذا تكلم نظم الدر بأفصح بيان، وإذا أشار تساقطت جواهر محاسنه الجمان. ولد في شعبان سنة ١٢٥٢هـ اثنين وخمسين ومائتين وألف (١٨٣٧م)، كما أخبر عن نفسه، ثم قرأ في بلده على مشايخه وقته الأعلام ببلده بعدما حفظ القرآن العظيم، ثم رحل إلى الحرمين وأدى النسكين وجاور بمكة.. وتوفي بمكة المشرفة في ١٩ شوال سنة ١٣٣٣هـ – ١٩١٥/٨/٢٩م، رحمه الله، آمين"(٢).
- ومنهم: "مولانا أبو سليمان المشهور بشاه مولوي إسحاق المهاجر المكي، بن محمد أفضل بن أحمد بن محمد بن شاه إسماعيل بن منصور بن أحمد بن محمود بن قوام الدين، عرف قاضي قاوون بن قاضي قاسم بن كبير، عرف قاضي بدهن بن عبد الملك بن قطب الدين بن كمال الدين بن شمس الدين اليمني، المفتي، بن شير ملك بن محمد عطا ملك بن أبي الفتح ملك بن عمر حاكم ملك بن عادل ملك بن قاوون بن جرجيس بن أحمد بن محمد شهريار بن عثمان بن مانهان بن همايون بن قريش بن سلمان بن عفان بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وجاور بمكة سنين.. توفي بمكة في خمس وعشرين من رجب سنة ١٢٦٢هـ اثنين وستين بعد المائتين والألف(١٨٦٤م)"(٣).

(١) الدهلوي: فيض الملك، ص: ٣٩١، ترجمة رقم: ٣٧٠.
(٢) الدهلوي: فيض الملك، ص: ١٠٩٨، ترجمة رقم: ١٤٤٠.
(٣) الدهلوي: فيض الملك، ص: ١٢٠، ١٢١، ترجمة رقم: ٤.

- ومنهم: "الشيخ حضرت نور بن حضرت مير بن فقير شاه الأفغاني البشاوري. من أولاد أخوند جان... ثم جاء إلى الحج وجاور بمكة في سنة ١٢٩١.. وتوفي في ليلة ١٢ من ربيع الأول سنة (١٣٢١هـ/١٩٠٤م)[١].
- ومن المجاورين بمكة المكرمة من فقهاء المالكية: "العلامة الفاضل العمدة والأستاذ الكامل القدوة الشيخ عبد الحميد سلامة ابن الشيخ إبراهيم سلامة الدسوقي المالكي. قال عنه الشيخ عبد الستار: المجاور بالبلد الحرام والمدرس، المصري أصلاً"[٢].
- ومنهم: "الشيخ حسين بن إبراهيم بن حسين المالكي، المغربي الأصل، مفتي السادة المالكية بمكة، فقيهٌ ماهر، متبحرٌ في العلوم العقلية والنقلي. كان في بداية أمره مشتغلاً بطلب العلوم بالجامع الأزهر بعد حفظه كتاب الله. وجاور بمكة، وجعل له أميرها وظيفتي الخطابة والإمامة بمقام المالكي، ورتب له مرتبات، كما تولى افتاء مكة، توفي بها سنة (١٢٩٢هـ/١٨٧٥م)[٣].

حرفة الوراقة:

إن العلم خير عظيم، ونشره فضل كبير، وكلما كان العلم أغزر، وصاحبه أعلى مكانة، كان نشره من أفضل القربات، لنيل الدرجات، ولذا تضافرت النصوص الشرعية على إبلاغ العلم النبوي ونشره، قال ﷺ (بلغوا عني ولو آية)[٤]، وقد نشأ علم الرواية مبنياً على هذه النصوص، ولما كثرت الأسانيد، وتشعبت المرويات، كان لا بد من تقييد هذه المرويات لئلا تضيع.

(١) الدهلوي: فيض الملك، ص: ٤٠٧، ٤٠٨، ترجمة رقم: ٣٩٧.
(٢) الدهلوي: فيض الملك، ص: ١١٥٦، ترجمة رقم: ١٥٤٢.
(٣) الدهلوي: فيض الملك، ص: ٣٩٩؛ ترجمة رقم: ٣٨٠.
(٤) البخاري، الجامع الصحيح، ٤٩٦/٦، ح ٣٤٦١.

فإن كانت حلقات العلم بثاً للعلوم الشرعية، وإبلاغاً للدين، وإن كان طلبة العلم وحملته هم وسيلة الانتقال للعلوم عبر الأجيال، إلا أن الكتب والمصنفات أبقى على مر الزمن، فكانت المصنفات آنذاك وسيلة النقل الوحيدة لبث العلوم والإبلاغ في غير مكان من العالم، وبغير احتياج لسفر عالم أو طالب. وقد ذكر الله تعالى في كتابه القلم، فقال: {نْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ}(١)، والمراد به على أحد أوجه التفسير جنس القلم الذي يكتب به، وقوله {وَمَا يَسْطُرُونَ} أي: وما يكتبون(٢)، فيكون شأن الكتابة عظيماً على هذا الوجه من التفسير.

ومن هنا نشأ تصنيف الكتب وتزامن معه ظهور مهنة الوراقة(٣) لنشر العلم؛ فإنه لا بد لكل كتاب أو رسالة من ناسخ، سواء كان الناسخ هو المؤلف، أو أحداً ممن أملى المؤلف عليه كتابه، ثم تنتشر النسخ التي يستنسخها الطلبة عن مؤلف شيخهم.

ولأن الخطوط متباينة، وسرعة النسخ متفاوتة، لذا كان يستعين أحدهم بآخر للنسخ، ثم صار من الناس من تخصص في النسخ بأجرة، وصارت لهم حوانيت يعرفون بها، وأطلق عليهم (الوراقون)(٤)، يدفع المصنف كتابه للوراق، ثم يأخذه بعد أيام وقد صار نسخاً، وربما احتفظ الوراق لنفسه

---

(١) سورة ن، آية :١.

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن، ٤٠٣/٤.

(٣) الوراقة هي: بيع الورق وأدوات الكتابة أو الكتب أو نسخها أو تجليدها أو تذهيبها عملاً باليد أو صنعا بالآلة، انظر: أبو سليمان: العلماء والأدباء الوراقون، ص١٩.

(٤) الوَرّاق: هو من يبيع الورق أو يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها، انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ١٠١/٦.

بنسخة، لمن يطلب استنساخها، ولا سيما إن كان الكتاب أو صاحبه متميزاً، بل صاروا ينتسخون الكتب المتميزة مما يجدون له سوقاً رائجة، أو طلباً عند الناس وإن لم يطلبهم أحد بذلك ابتداءً. وأصبح للوراقة والوراقين دور عظيم في حياة الفكر الإسلامي(١)، إذ أسهموا مساهمة كبيرة في نشر المعرفة من خلال ما قدموه من خدمات، سواء تلك التي تتعلق بالكتاب ونشره، أو ما يتعلق بأدوات ومستلزمات الكتابة وتوفيرها للقراء.

وقد نشأت الوراقة وأسواقها بمكة في العصور الإسلامية المبكرة، فيذكر الفاكهي والأزرقي أن بأسفل مكة دار الوراقين لبني جمح ويقال لها: دار مصر، وأنها سميت بذلك لأن صفوان بن أمية كانت تأتيه من مصر تجارات وأمتعة، فنسبت الدار إلى ما كان يباع فيها من متاع مصر(٢).

وكان وجود هؤلاء الوراقين مقترناً بوجود المؤلفين والمصنفين والأدباء والعلماء، ومقترناً بوجود المكتبات ودور العلم، ولما كانت مكة في عصورها كلها تتمتع بوجود العلماء والطلاب، كانت سوق الوراقة بها رائجة، إضافة لرغبة الحجاج في التزود بنسخ معينة من الكتب تروق لهم، أو بنسخ الإجازات في العلوم كالحديث، وغير ذلك، وهذا يغذي رواج هذه الصناعة، مما أسهم بشكل أو بآخر على نشر العلوم من مكة لمختلف أنحاء العالم الإسلامي.

أيضاً كان لمجموعة العلماء والأدباء الوراقين بمكة دور كبير في ترسيخ أصالة المجتمع العلمي المكي، لأنه رغم احتراف نخبة من المكيين لمهنة الوراقة إلا أنه كان بينهم المحدثون والفقهاء والمدرسون والمؤرخون وغيرهم كثر، مما رفع شأن الوراقة، ورفع نظرة المجتمع للوراق.

---

(١) فهد: دور الوراقين، ص:٩.

(٢) الأزرقي: أخبار مكة، ٢٦٣/٢.

ولقد تجمعت عدة أسباب ساعدت على رواج مهنة الوراقة بمكة، والتي منها:

. كثرة مصنفات العلماء المكيين، فمع كثرة التأليف كثر النساخ، وقد وقف البحث على مئات الكتب والمصنفات نتاجاً علمياً لعلماء مكة فترةَ البحث، فكان هذا من أكبر الدوافع لتنشيط حركة الوراقة، ويضاف إلى ذلك أيضاً حركة التعليم النشطة، والتي تعزى أيضاً إلى كثرة نزول العلماء والطلاب بمكة مجاورين وحجاجاً، والعالم والطالب لا يستغنيان عن الكتب، ولاسيما وحلقات العلم المتوفرة بالمساجد والمدارس كانت تجذب هؤلاء للحصول على الكتب التي يحتاجون إليها مما يدرسونه، ويكون ذلك إما بالاستنساخ، أو بالشراء من المكتبات.

. وجود عدد من الأسر العلمية بمكة شجع الأبناء على المحافظة على ميراث الأباء والأجداد، فاجتهدوا على نسخ كل ما يتعلق بهم من مؤلفات، وربما قام الأبناء بنسخ ذلك بأنفسهم، أو عهدوا به إلى النساخ، ومن أمثلة ذلك قيام أبناء الشيخ حسين بن إبراهيم بن حسين المالكي (ت١٢٩٢هـ/١٨٧٥م) بنسخ بعض مؤلفات أبيهم، فقد نسخ عبد الله بن الحسين بخط التعليق، مستخدماً المدادين الأسود والأحمر رسالة أبيه المعروفة "رسالة في مصطلح الحديث"، كذلك قام ابنه الآخر محمد علي بإعادة نسخها مرة أخرى سنة (١٣٠٣هـ/١٨٨٥م) بخط النسخ، مستخدماً المدادين الأسود والأحمر[١].

. وقد يكون الدافع للاشتغال بالوراقة حب العلم، والرغبة أن يبقى العلم مدوناً بخطه عبر الأجيال ينتفع به، ولذا نجد في قائمة الوراقين من كان ميسور الحال، بل ومن العلماء كالشيخ عبد الله بن محمد صالح بن سليمان

(١) أبو سليمان: فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص:٦١.

مرداد (ت١٢٧١هـ/١٨٥٤م) خطيب وإمام المسجد الحرام والمدرس به، (كتب بخطه الكتب)[١]، وكذلك أخوه شيخ الخطباء والأئمة بالمسجد الحرام، عبد العزيز بن محمد صالح مرداد (ت١٢٧٥هـ/١٨٥٨م)، كتب بيده جملة من أمهات الكتب بخط حسن مع كمال الضبط[٢].

وأسرة مرداد شهيرة بالعلم والوظائف الدينية بالمسجد الحرام، وهي الخطابة والإمامة، لذا فنحن نعتقد أن ما نسخه هذا الشيخ أو أخوه، وما كتباه من كتب كان خاصاً بهما ولمكتبتهما، وليعينهما على أمور الخطابة والإمامة والتدريس، وليس من باب الكتابة للغير لطلب الربح، لأنهما من أسرة ميسورة الحال، والوظائف التي كانا يتمتعان بها تغني عن الكتابة للغير.

وكذلك عبد الرحمن العجيمي (ت١٣٠١هـ/١٨٨٣م) كان إماماً وخطيباً ومدرساً بالمسجد الحرام، نسخ بخطه الجميل الكثير من الكتب والرسائل، فقد وصف بأنه كان: (ذا خط حسن جيد، كتب به الكتب، والرسائل النفيسة الكثيرة)[٣]،

كما قام عبد الستار الدهلوي بنسخ كتاب: "حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج"، لأحمد بن عبد الرزاق بن محمد الرشيدي (ت١٠٩٦هـ/ ١٦٨٤م)، و"الجواهر العدة في فضائل جدة وتاريخها"، لأحمد بن محمد الحضراوي، وكتب عليها أنه نسخها لنفسه، ولمن شاء الله من بعده[٤].

---

(١) الدهلوي: فيض الملك، ص ٧٧٠، ترجمة رقم: ٩٣٠.

(٢) الدهلوي: فيض الملك، ص ٨٥٩، ترجمة رقم: ١٠٤٨.

(٣) الدهلوي: فيض الملك، ص ١٠٥٥، ترجمة رقم: ١٣٨٣.

(٤) جمعة: فهرس مخطوطات مكتبة الحرم، ص: ٤٣،٤٤.

كما أن ظهور التطور التقني في صناعة الورق، وأدوات الوراقة، وتوفرها في السوق المكي بالأسعار المتفاوتة، كان من أكبر عوامل انتشار مكتبات الوراقة، فاشتغال العديد من المكيين بها، وصارت الوراقة حرفة مربحة نوعاً ما، فهي لا تعتمد على جهد بدني كبير، ويمكن تعاطيها في أي مكان، ولا تفتقر إلى مكان دون آخر، بل يمكن للوراق أن يقوم بعمله في بيته، مع رخص أسعار الورق وأدوات الكتابة، فكان هذا مدعاة لاشتغال عدد من أصناف الناس بها، ولا سيما من المجاورين، حيث كانت الوراقة مهنة تناسب أرض مكة التي لا تشتهر بصناعة، وهي فقيرة في الزراعة، ولا يحسن التجارة كل أحد.

وكان الربح المادي المرجو من الوراقة متفاوتاً حسب أهمية أو ندرة المخطوط، وجودة خط الناسخ، ونوع الورق، ووقت النسخ وغير ذلك.

وقد أشار بوركهارت إلى ما تحققه مهنة الوراقة من ربح فقال: (قد أخبرني بعض المكيين أن تجار الكتب كانوا قد تعودوا فيما مضى أن يأتوا إلى هنا مع الحجاج قادمين من اليمن، وكانوا يبيعون كتباً قيمة، جلبوها من صنعاء ولحية خاصة..، وقد كان أمراً دعاني للدهشة أن أهل مكة الأذكياء لم يتاجروا في الكتب وإن كان الاتجار فيها لا يحقق ربحاً كبيراً، كالربح الذي يحصلونه من الاتجار في البن والبضائع الهندية)[١].

إلا أنه ليس كل من فتح محلاً لبيع الكتب وأدوات الوراقة، أو اصطف دكة لينسخ للناس كان يكسب المال الوفير، بدليل أن أحمد الحضراوي كان يكتب للناس بالأجرة ويتقوت منها ولا يطمع في المناصب ولا الوظائف، وكان يسكن في المدعى في بيت صغير، يذكر

(١) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص: ١٩٥. ١٩٦.

تلميذه محمد المعصومي في رحلته عام (١٣٢٣هـ/١٩٠٥م) أنه كان يدعوه أحياناً إلى بيته لتناول طعام الغذاء، فيقول: (فكنت أذهب معه بعد الظهر إلى ببيته الصغير المملوء بالكتب، فيفرش المائدة، فيحضر في طبق أرزاً فكنا نأكله ونلتذ لذة، لأنه كان طعاماً حاصلاً من كد اليمين، وعرق الجبين)[١].

ومن دوافع النسخ أيضاً رغبة الحجاج في شراء الكتب النفيسة من مكة وقد يكون ذلك لانعدامها في بلدانهم، أو تبركاً بشراء العلم الشرعي الذي هو أشرف العلوم من مكة التي هي أشرف البقاع، فيكون ذلك تذكاراً لهذه الرحلة المقدسة، يتذكرونها، ويحنون إليها كلما رأوها، وفي هذا الصدد يذكر بوركهارت أنه رأى بمكة كتباً يشتريها الحجاج بمبالغ كبيرة، قال: (... والكتاب الجيد الوحيد الذي رأيته في مكة هو نسخة جميلة من "القاموس المحيط"، كان قد اشتراها أحد الملاويين بمبلغ ستمائة وعشرين قرشاً، مع أن ثمنه في القاهرة يصل إلى نصف هذا المبلغ، وكثير من الحجاج يسألون عن الكتب "المخطوطات" ومستعدون لدفع مبالغ كبيرة فيها)[٢].

وهذا يؤكد أن سوق الكتب كانت رائجة لوجود المشتري لها من كل أنحاء العالم، فهو أثر إيجابي للاهتمام بالنسخ والوراقة.

أصناف الوراقين:

الوراقون في مكة نوعان: نوع امتهن حرفة نسخ الكتب وتجليدها، ونوع أخر امتهن حرفة بيع الكتب والأدوات المكتبية من أقلام وأوراق

(١) المعصومي: ذكريات طريفة، ص: ٢١٩.

(٢) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص١٩٥. ١٩٦.

وغيرها، وإن كان النوع الأول شارك النوع الثاني في مهنته، ولكن النوع الثاني لم يشارك النوع الأول إذ ليس كل من يفتح مكتبة لبيع أدوات الوراقة والكتب يستطيع أن ينسخ كتاباً، فهي مهنة تحتاج بالإضافة إلى جودة الخط، نوعاً من الصبر وقسطاً من العلوم، إضافة إلى طرق التصحيح، والضبط، والمراجعة، ونوع ثالث من الوراقين وهم الذين يعملون في المطابع، وهذا النوع برز مع ظهور المطابع بمكة عام (١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م)، وشمل أنواعاً من المصححين والفنيين والمجلدين وغيرهم.

ولقد وضع العلماء شروطاً لمن يمتهن الوراقة، منها ما يتعلق بالناسخ فشرطوا عليه أن يخاف الله ويتقيه في صنعته، فيعلم قبل أن يشرع في نسخ كتاب ما محتوى الكتاب وما كتب فيه، فلا ينسخ كلاماً يخالف شرع الله، ككلام أهل البدع والأهواء، وأن يتحرى الدقة والأمانة فيما ينسخ، وأن يحذر من خلط الورق الخفيف بالجيد الذي لا يصلح للنسخ، لأن ذلك تدليس على المشتري، فلكتابة الرسائل ورق خاص بها، ولكتابة الكتب ورق خاص بها، وأن يكتب بخط واضح مقروء، ويختار حبراً جيداً لا يضر بالورق فيخرقها أو يُمحى من الورق سريعاً. أما المجلد فعليه هو الأخر أن يخاف الله في عمله، فيتحرى الدقة بحيث لا يخلط الأوراق عند التجليد، وإن كانت مخلوطة فعليه ترتيبها ثم يقوم بتجليدها[١].

أماكن النساخين والوراقين بمكة:

كان للوراقين بمكة سوق معلوم، صفوا فيه حوانيتهم التي يكتبون فيها أو يبيعون الكتب بها، فيقصدهم من يحتاج كتاباً، أو يكلفهم بالبحث عنه

(١) ابن الحاج: المدخل ٤/٨٥ . ٨٩، ٩٧.

ونسخه فانتشرت حوانيتهم أمام وحول أبواب الحرم الشريف؛ كباب السلام وباب العمرة[١] وباب الزيادة[٢] وباب إبراهيم[٣].

وتعتبر منطقة المسعى أو باب السلام الموقع الرئيس للوراقين والنساخ والمكتبات التي اختصت ببيع الكتب والأقلام والأوراق والحبر وغير ذلك من مستلزمات العلم والكتابة [٤].

وإضافة إلى منطقة المسعى وباب السلام انتشرت محلات الوراقة حول الأبواب الكبيرة للحرم المكي، وأبواب الدخول للحرم التي تقرب من محل سكنى الحجاج، بحيث يمرون عليها عند ذهابهم وإيابهم، كباب العمرة وباب إبراهيم وغيره.

كما أن بعض النساخ المكيين جذبتهم مدينة الطائف بجمال مناظرها، وعليل هوائها، فنسخوا بين بساتينها ما لديهم من مخطوطات، مستفيدين فترة وجودهم بها فعلى سبيل المثال نسخ عبد الستار الدهلوي كتاب "طيف

---

(١) يقع باب العمرة بالجهة الغربية من المسجد الحرام، وسمى بذلك لأن المعتمرين من التنعيم تعودوا الدخول والخروج منه، أنشأه الخليفة أبو جعفر المنصور العباسي وجدده الخليفة المهدي ثم جدد في عهد العثمانيين، انظر باسلامة : تاريخ المسجد الحرام، ص:١٢٩.

(٢) يقع باب الزيادة في الجهة الشمالية من المسجد الحرام، انظر: حسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص:١٣٢.

(٣) يقع باب إبراهيم في الجهة الغربية من المسجد الحرام، نسبة إلى خياط كان يعمل عنده يدعى إبراهيم، وهو من أكبر أبواب المسجد الحرام فترة البحث جدد في عمارة السلطان المملوكي الغوري وقد ظل على حالته حتى توسعة المسجد الحرام في العهد السعودي، انظر باسلامة: تاريخ المسجد الحرام، ص:١٢٧. وانظر: أبو سليمان: العلماء والأدباء الوراقون في الحجاز، ص:٤٣.

(٤) الدهلوي: فيض الملك، ص: ١٥٣٧؛ بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص:١٤٢.

الطائف في فضل الطائف" لمحمد بن علي العلوي(ت١٠٧٥هـ/١٦٦٤م) بالطائف عام (١٣٣١هـ/ ١٩١٢م)[١].

أما أدوات الوراقة:

فقد ذكر الغزاوي أربعة عشرة أداة كانت تستخدم في الكتابة فترة البحث كانت متوفرة عند الوراقين أو الكتبيه الذين يبيعون الكتب أو يزاولون مهنة النسخ، وهذه الأدوات هي ما جمعه الناظم بقوله:

ومهمات الدواة تعد سبعاً وسبعاً عدهن بلا خفاء
مداد ثم محبرة مقص ومرملة و مصمغة ألواء
ومكشطة ومقلمة مقط ومصقلة ومموهة لِماء
ومحراك ومسطرة مسن وممسحة لختم وانتهاء

وعليه؛ فالأدوات كانت تشمل:

المداد، وهو الحبر، ويوضع في محبرة، ومقص، ومرملة، والمرملة أو المتربة كانت تستخدم في الأوساط العليا والمكاتب الممتازة، إذ هي لوضع التبر اللماع على الخط، وكان يكثر وجوده في بعض جبال مكة، وفي سفوح خندمة وما حوله، وأيضاً الزخرفة بالرمل الملون بالأخضر أو الأحمر أو الأزرق، والمصمغة لوضع الصمغ عند تجليد الكتب، وكذا باقي الأدوات، مكشطة، مقلمة، مقط، مصقلة، مموه، محراك، مسطرة، مسن، ممسحة، أما القلم فكان من القصب، يقلم ويقط ليستخدم في الكتابة[٢].

---

(١) جمعة: فهرس مخطوطات مكتبة الحرم، ص١٧٦.

(٢) الغزاوي: الشذرات، ص٣٢٢، وهي الأدوات المستخدمة حتى الآن في الكتابة اليدوية، والمقط والمصقلة لتقليم القلم، والمموه لتزيين الخط، والمكشطة للمسح، كما هو ظاهر من الاستعمال.

نوع الورق(١):

استخدم الوراقون أوراقاً مختلفة ومتنوعة في الكتابة والنسخ، منها المتين، ومنها الرقيق، ومنها الأبيض، ومنها الملون، ومنها الجيد ومنها الرديء، ومنها ما كان يجلب من الهند أو من أوروبا وإيطاليا(٢).

وربما كان البعض يرغب في أن تكون أوراق المخطوط مزينة بالألوان والرسومات، ومزخرفة ومذهبة، والبعض الآخر يفضل أن يتركها كما هي على حالتها الأصلية، إذ إنه بالتأكيد سيدفع ثمناً باهظاً إذا زينت وزخرفت.

كما أن نوع الورق كان يؤثر في سعر المخطوط، وحالة الناسخ المادية فيما بعد، فالورق الجيد غير الورق الرديء، والسميك غير الرقيق الناعم، والأصفر غير الأبيض، والأوروبي غير المشرقي، فلكل سعره حسب جودته(٣).

---

(١)عرفت الحجاز أول مصنع لصنع الورق في أواخر القرن الأول الهجري، حيث تعلم يوسف بن عمرو صنعة الورق ببلاد سمرقند، ثم نقلها إلى الحجاز، وأنه أول من صنعه من القطن بدلاً من الحرير، ومن الحجاز انتقلت صنعة الورق إلى الأندلس فأوروبا، غير أنه في العصور اللاحقة وخاصة في فترة البحث أصبح الورق يأتي إلى الحجاز من الخارج، فلم نسمع بوجود مصنع للورق بمكة، وقد يكون مرد هذا إلى عدم اهتمام الدولة في إقامة مثل هذه المصانع بمكة، وعلى كل فإن كان للدولة العثمانية أسبابها التي جعلتها لم تول هذا القطاع اهتمامها، لانشغالها بحروبها مع أوروبا، أو لضعف الموازنة المالية والتأخر الذي أصابها، ولكن الطاقات المكية كانت بانتظار من يمد لها يد العون والتشجيع، والذي تأخر كثيراً حتى دخول المطابع. أبو سليمان: العلماء والأدباء الوراقون في الحجاز، ص: ٤١.

(٢) يعتقد أن الورق المشرقي كان يأتي إلى مكة عن طريق ميناء جدة من الهند لعلو شأنها في ذلك الوقت، إذ انتشرت بها المطابع وتصدير الكتب، فمن باب أولى تصدير الورق، أما الورق الأوروبي فلعله كان يأتيها من دول أوروبا كإيطاليا عن طريق موانئ مصر، والله أعلم.

(٣) مجلة كتاب عالم الكتب، العدد ٤٠، جامعة كاليفورنيا، ١٩٩٣، ص: ٥٢.

واستعمل النساخون الورق السميك والخفيف بمختلف ألوانه، فممن نسخ على ورق خفيف ملون: محمد بن علي بن عبد الله باسودان (ت١٢٨١هـ/١٨٦٥م)، نسخ كتاب "المحرر" لعبد الكريم بن محمد القزويني (ت٦٢٣هـ/١٢١٧م) على ورق خفيف، ملون أحمر وأصفر وأخضر، بخط معتاد عام (١٣٠٥هـ /١٨٨٧م)[١].

كما استخدمت ألوان عدة في النسخ منها الأسود والأحمر والأزرق والبنفسجي.

وقد تفننوا في استخدام هذه الألوان، إذ أكثروا من الكتابة بالمداد الأسود، وكان هو عصب الكتابة من حيث كونه ملكَ الألوان، وأنه أوضح وأبقى مع الأيام، ولذلك فكان معظم ما وصلنا من مخطوطات هذه الفترة بالمداد الأسود، أما الأحمر أو الأزرق فكان أكثر استخدام له كان في كتابة العناوين أو بداية كل فقرة، لا في كل المخطوط، خاصة لو كان يتحدث عن التراجم، فيكتب اسم المترجم بمداد مختلف عن مداد الترجمة، وكان في العادة باللون الأحمر، أما الأسود فيكون لكتابة الترجمة، ولعل اللون الأحمر مع الوقت قد يبهت فيؤثر على قراءة المخطوط، حتى أن مخطوط "فيض الملك الوهاب المتعالي" قد طمست بعض أسماء تراجمه حيث كتبت باللون الأحمر، فمع الوقت بهتت، وأصبح من الصعب قرأتها[٢].

---

(١) فيض الملك، ص ١٨٧٤، ترجمه رقم ٢٥٤٠، وانظر: جمعة: فهرس مخطوطات مكتبة الحرم، ص:٢٥٣.

(٢) انظر أصل مخطوط "فيض الملك الوهاب المتعالي" في مكتبة الحرم المكي الشريف، رقم : ١١٠١.

عمل الناسخ:

لم يكن ما يقوم به النساخ هو نسخ الكتب كيفما كان، بل إن الناسخ مؤتمن على نقل الكتاب كما كتبه صاحبه، بغير تحريف، وهذا يقتضي تصحيح الكتاب، وهو ما يسمى بالمقابلة والتصحيح، ولهذا يقتضي أن يتعرف الناسخ على علامات العلماء في كيفية كتابة الكلمة الناقصة، ويسمونها (اللَحَق)، وهو أن يضع خطاً في موضع السقط بين الكلمتين، ويعطفه إلى اليمين أو اليسار، ثم يكتب الساقط في الحاشية ويكتب في انتهاء اللحق (صح)، أما الحاشية فتكتب العطفة وسط الكلمة التي يراد التحشية عليها، ولا يكتب بعد الحاشية كلمة (صح)[١]، وقد تحرى الشيخ عبد الستار دهلوي التصحيح كما لا يخلو مؤلفه من اللحق والحواشي[٢].

كما يقوم الناسخ بإصلاح المخطوط إذا ظهر بأوراقه خلل، ويكمل الناقص، وربما زاد على الكتاب ذيلاً، ومن ذلك مخطوط "الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف لمحمد جار الله القرشي (ت٩٨٦هـ/١٥٧٨م)، حيث قام أحمد الصافي بنسخها بخط نسخ عام (١١٤٤هـ/١٧٣١م)، ولما وصلت لعبد الستار الدهلوي (ت١٣٥٥هـ /١٩٣٦م) كان للزمن آثاره عليها إذ وجد بها خرم في وسطها، فقام الشيخ عبد الستار الدهلوي بعلاجه ثم قابلها على نسخة صحيحة، وكان ذلك عام (١٣٢٢هـ/١٩٠٤م)، ثم ذيل عليها فيما بعد بما يتعلق بأمراء مكة باختصار من عام (٩٦١هـ - ١٣٣٢هـ) / (١٥٥٣م - ١٩١٣م) [٣].

---

(١) السيوطي: تدريب الراوي، ٧٩/٢.

(٢) انظر: فيض الملك، ق ٣٢، ١١٤، ولمعرفة المزيد في علم النساخ انظر: جمعة: فهرس مخطوطات مكتبة الحرم، ص: ٢١٣.

(٣) واعتمد الدهلوي في بعض تأليفه على "الجامع اللطيف"، منها "مائدة الفضل والكرم"، ق ١٥٧؛ جمعة: فهرس مخطوطات مكتبة الحرم، ص:٤٠.

وعمل بالوراقة طائفة من الحجاج والمجاورين، أسهموا بشكل مباشر في إنعاش حركة الوراقة، من جهة أنهم وفود من كافة أنحاء العالم الإسلامي، وكثير منهم وجد أن الوراقة أنسب الأعمال التي يمكن أن يمتهنها أحدهم، دون أن يعرض نفسه للامتهان إذا قام ببعض أعمال الحمل والرفع، أو يحتاج إلى أخذ إذن أو تصريح كما هو الحال بالنسبة للتدريس، أو يحتاج إلى رأس مال للتجارة، فكانت الوراقة أنسب ما يجده هؤلاء، ولا سيما أن ربحها مناسب للإعالة والبقاء بمكة بكريم العيش.

فممن عمل بمهنة النسخ من المجاورين: مصطفى بن محمد بن سليمان العفيفي، من علماء مصر، قدم مكة في حدود عام (١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م)، عازماً على إكمال مسيرته العلمية على مشايخ مكة والوافدين عليها، غير أن ضيق ذات اليد جعلته يتعيش بالكتابة ليستعين بها على نفقات معيشته، وإكمال تعليمه وتحصيله، فامتهن الوراقة، وراح يكتب بخطه الحسن الجميل الكثير من الكتب، والتي تميزت بجمال خطها ودقة ضبطها وإتقانه(١).

كما امتهن نسخ الكتب عبد الله بن فايز أبا الخيل (ت تقريبا ١٢٥١هـ/ ١٨٣٦م)، كان والده أميراً لإحدى مدن القصيم، فطلب عبد الله العلم، ورحل إليه صوب مكة، وأخذه عن عدد من علمائها، يترجم له عبد الستار الدهلوي فيقول: ".. انبعثت همته لطلب العلم بعد بلوغه ثلاثين سنة، فلم يجد ما يشفي أوامه فجاور بمكة سنين يتعيش من النساخة، وقليل من

(١) الشيخ مصطفى العفيفي بن محمد بن سليمان العفيفي المصري الأصل، المكي الوطن، الشافعي (١٣٠٨هـ). العالم المدرّس بالحرم الشريف، الفقيه العلامة، كامل نبيه، وفطن حاذق لبيب، تلقى العلم على يد جلة من العلماء، وله تلاميذ كثر، والعديد من المصنفات العلمية في الفقه والحديث. فيض الملك، ص: ١٥٦٥، ترجمة رقم: ١٤٧١.

بيع وشراء، على غاية التحري وتصحيح العقود، وكان تعلم الخط في كبره ولا زال يخط ويحسن خطه إلى الآفاق، وطرز الأوراق، فكتب شيئاً كثيراً لنفسه وللناس"[١].

كما امتهنها جعفر بن قامس الداغستاني (ت١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م)، قدم مكة مع أبيه وتوطنها، قرأ العلم على عدة مشايخ، اتخذ من الوراقة حرفة له، فكتب بها الكثير من الكتب[٢].

وممن امتهن الوراقة أيضاً من المجاورين محمد بن سليمان حسب الله الشافعي (ت١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م)، قام بنسخ عدد من الكتب، منها ما هو له، ومنها ما هو لغيره، فقد نسخ مؤلفه "فيض المنان بشرخ فتح الرحمن" بخط النسخ مستخدما المدادين الأسود والأحمر، وفي عام (١٢٦٧هـ/١٨٥٠م) نسخ "فتوحات الرشيد على خلاصة التوحيد للبخاري" لمحمد الدمنهوري (ت١٢٨٨هـ/١٨٧١م)، كما نسخ "تقريرات على شرح الورقات" لأحمد بن محمد الدمياطي الشافعي، سنة (١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م) بخط التعليق في الفقه الشافعي[٣].

كما امتهنت أسر عدة حرفة الوراقة، فلم تكن حرفة الوراقة تقتصر أحياناً على أفراد معدودين، بل قد تستمر لأجيال تتوارثها أسر في مكة، يتعلم الولد من أبيه، ويرث الحفيد من جده، فقد يكون عميد الأسرة مجاوراً، واشتغل وقت مجيئه مكة بنسخ الكتب، فيتعلم منه أبناؤه، ويستمرون على مهنة الوراقة، ومن هذه الأسر التي توارثت الوراقة ونسخ الكتب:

---

(١) الدهلوي: فيض الملك، ص: ٩٣٨، ترجمة رقم: ١١٥٥.

(٢) الدهلوي: فيض الملك، ص: ٣٦٦، ترجمة رقم: ٣٣١؛ أبو سليمان: فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص:١٩٥.

(٣) الدهلوي: فيض الملك، ص: ١٦٥٤، ترجمة رقم: ٢٢٣١؛ أبو سليمان: فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص:١٤٠،١٠٦.

. أسرة حسين المالكي: عميد هذه الأسرة هو حسين بن إبراهيم المالكي (ت١٢٩٢هـ/١٨٧٥م)، قدم من مصر مجاوراً، فأصبح بفضل علمه من مدرسي المسجد الحرام، ومفتي المالكية بها، امتهن الوراقة، ونسخ الكتب لنفسه وللغير بأجر، وامتاز خطه وتفننه استعماله الألوان في الكتابة كالأحمر والأسود(١). ولقد امتهن أبناه عبد الله ومحمد علي(٢) مهنة نسخ الكتب والوراقة من أبيهم، فمن الكتب التي نسخها عبد الله بن الحسين "مسلك الثقات في نصوص الصفات" لأبي بكر بن محمد ملا الحنفي (ت١٢٧٠هـ/١٨٥٣م) مستخدماً خط النسخ، والمدادين الأسود والأحمر عام (١٢٦٩هـ/١٨٥٢م)، ونسخ محمد علي بن الحسين "رسالة في حكم السدل" في الفقه المالكي لمحمد المغربي، نسخها عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م) بخط النسخ، بالمداد الأسود وقد قابلها مع مؤلفها على نسخته(٣).

- أسرة الكتبي: عميدها محمد بن محمد حسين الكتبي الحنفي (ت١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م)، قدم من مصر حين عزم والده على المجاورة بمكة، كان يحضر دروس والده بالمسجد الحرام، ولما توفي جلس للتدريس محله، فحضر درسه العلماء وطلبة العلم، امتهن حرفة الوراقة بجانب مهنة التدريس بالحرم، تميز خطه

(١) السيد حسين بن علي المالكي، مفتي المالكية بمكة، تولى إمامة وخطابة المسجد الحرام، إضافة إلى التدريس به، كان مقرباً عند أمير مكة الشريف غالب. توفي في نيف وثمانية وعشرين ومائتين وألف. الدهلوي: فيض الملك، ص: ٤٤٣، ترجمة رقم: ٤٥٤.

(٢) الشيخ محمد بن حسين المالكي، مفتي المالكية بمكة بعد والده، كان أديباً فاضلاً، توفي بمكة في محرم سنة ١٣٠٩ من غير عقب. الدهلوي: فيض الملك، ص: ١٦٢٩، ترجمة رقم: ٢١٨٩.

(٣) أبو سليمان: فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص: ١١٠، ١٧٠.

بالجودة والحسن، كتب به الكثير من الكتب والرسائل خصوصاً تأليف المكيين، وكان يتحرى الضبط والدقة في الكتابة، بالإضافة إلى كونه عالماً مدرساً، فقد تجلى ذلك في تصحيحه لأخطاء الكتاب، وتحليته بالهوامش المفيدة(١). وقد خلفه في مهنة الوراقة من بعده ابنه السيد محمد مكي (ت ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م)، الذي اشتهر كأبيه بالكتبي، نشأ في حجر والده، فحفظ القرآن الكريم وجوده، وتفقه علي يديه، وعلى مجموعة من علماء عصره،، تولى خطابة وإمامة المسجد الحرام والتدريس به، ولم يكن العلم هو الشيء الوحيد الذي ورثه عن أبيه، بل حسن الخط أيضاً، فكتب بخطه الكثير من الكتب والرسائل خصوصاً مؤلفات المكيين، مع غاية الضبط(٢).

- أسرة الحضراوي: امتهن أحمد بن محمد الحضراوي (ت١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) الوراقة فنسخ الكتب بالأجرة عند باب السلام(٣)، كما امتهنها ابنه محمد سعيد بن أحمد الحضراوي المكي، ونسخ العديد من الكتب منها: "فضائل سادتنا السادة البدرية" لأحمد زيني دحلان، وقد نسخها على ورق أوروبي، بخط النسخ مستخدماً المداد الأسود والأحمر(٤)، وامتهن الوراقة أيضاً الأخ الأصغر

(١) الدهلوي: فيض الملك المتعاليى، ص: ١٣٧٣، ترجمة رقم: ١٨٦٦.

(٢) الدهلوي: فيض الملك، ص: ١٤١٥، ترجمة رقم: ١٩٢٥.

(٣) الدهلوي: فيض الملك، ص: ٢٩٣، ترجمة رقم: ٢٤١. وانظر: محمد المعصومي: ذكريات طريفة عن بعض كبار العلماء في مكة في الجيل الماضي، عرفت هؤلاء الرجال، (مجلة الحج، ج٤، س٦، شوال ١٣١٧هـ/ يولية ١٩٥٢م)، ص٢١٩.

(٤) الدهلوي: فيض الملك، ص : ١٥٣٣، ترجمة رقم: ١٢٧٤؛ أبو سليمان: فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص: ٨٥، ص٤٧٣.

لأحمد الحضراوي، ويدعى محمد عبده بن محمد الحضراوي، قام بنسخ "ترجمة الملا علي القاري" عام (١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م) على ورق أوروبي، بخط نسخ، مستخدماً المداد الأسود والأحمر(١)، كما قام عام (١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م) بنسخ كتاب "تشييع الفقهاء، بالتشنيع على سفهاء الشافعية" في الفقه الحنفي لملا علي القاري المكي (ت١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م)(٢) على ورق أوروبي بخط نسخ، مستخدماً المدادين الأسود والأحمر(٣).

- أسرة السنبلاوي: من الأسر المجاورة التي امتهنت الوراقة، فقد نسخ يوسف السنبلاويني (ت ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) (٤)، بخطه الكثير من الكتب منها "إتحاف الكيس بنوادر مصطلح الحديث النفيس" لعبد المعطي بن سالم بن عمر الشلبي السملاوي (ت١١٢٧هـ/ ١٧١٥م)، نسخه بخط النسخ الجيد مستخدم المدادين الأسود والأحمر عام (١٢٥١هـ/١٨٣٥م)، كما امتهن الوراقة ابنه عبد الرحمن بن يوسف السنبلاويني فقد نسخ بخطه العديد من

(١) أبو سليمان: فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص:١٠٦.

(٢) القاري: المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية، (مكة، المطبعة الأميرية: ١٣٠٣هـ)، ص١١٨.

(٣) كحالة: معجم المؤلفين، ٧/١٠٠. ١٠١؛ أبو سليمان: فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص:١١١.

(٤) الشيخ يوسف السنبلاويني الأزهري. عالم وفقيه شافعي، جاور بمكة، ودرس بالمسجد الحرام بمكة، كان ديدنه التعلم والتعليم والتأليف. وله جملة تآليف، منها: «العروس المجلية لمتن المتممة» في النحو، وحاشية اسمها: «كاشفة اللثام على شرح تحصيل نيل المرام» للمرزوقي، وغير ذلك. توفي بمكة سنة (١٢٨٥هـ/١٨٦٨م)، ودفن بالمعلى. الدهلوي: فيض الملك، ص: ١٩٨٢،ترجمة رقم: ٢٧٠٨

المخطوطات والكتب منها: "المختصر الشافي على متن الكافي" لمحمد الدمنهوري (ت ١٢٨٨هـ/١٨٧١م)، وقد نسخها بخط النسخ عام (١٢٧١هـ/١٨٥٤م)[١].

مكتبات الوراقة بمكة:

اشتهرت عدة مكتبات بمكة لبيع الكتب نتيجة لانتعاش الوراقة والنسخ بها وصار الوراق الذي يبيع الكتب ينسب للكتب مباشرة، فيقال له: (كتبي)، بل صارت النسبة علماً على بعض الأسر التي اهتمت ببيع الكتب، ونشرها في مكة المكرمة، وكان كثير ممن فتحوا هذه المكتبات من النساخين، ومما وقف عليه البحث من ذلك:

- مكتبة عبد الله الباز : كانت بباب السلام، وقد اشترى منهما عبد الله أفندي باشا بعض الكتب إبان رحلته[٢]، واعتنى أبناء الباز بالمكتبة وأمدوها بالكتب النفيسة، منهم الشيخ الأديب محمد بن عبد الله الباز (ت بعد ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م) [٣].
- مكتبة محمد بن علي بن أحمد الكناني (ت١٣٠٨هـ/١٨٩٠م) : وهو عالم مجاور، تلقى علومه بمصر، ثم قدم مكة عام (١٢٦١هـ/١٨٤٥م) طالباً للعلم، فعكف عليه ليله ونهاره، حيث لازم عدداً من العلماء منهم أحمد الدمياطي، ومحمد كتبي، وعثمان الدمياطي، وغيرهم، أجازه مشايخه بالرواية والتدريس، فدرس بالمسجد الحرام، ولم يقتصر حبه على العلم بأن درسه؛ بل راح يجمعه من خلال الكتب التي كان يقتنيه، إذ إنه ومنذ شبابه فتح

(١) أبو سليمان: فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص: ٥١، ٤٠٠.

(٢) طاشكندي: الطباعة في المملكة، ص ٢٩.

(٣) الدهلوي: فيض الملك، ص: ١٦٥٨، ترجمة رقم: ٢٢٣٤.

دكاناً لبيع الكتب بباب السلام، وظل الشيخ يشرف على مكتبته بنفسه إلى أن كبر في السن فتخلى عن مهنة بيع الكتب واكتفي بالتدريس والإفادة حتى الوفاة(١).

- مكتبة محمد حسن بن محمد المنصوري (ت ١٣٢٨هـ/١٩١٠م): وهو من مدرسي المسجد الحرام، فتح مكتبة عامرة في باب السلام لبيع الكتب العلمية، وكان إذا أراد تدريس أي كتاب يحرص على خلوه من مكتبته خشية أن يتهم بالاستغلال(٢).
- مكتبة أبو بكر محمد خوقير (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م): تقع عند باب السلام، افتتحها أبو بكر خوقير بعد أن عزله الشريف عون(٣) عام (١٣١٤هـ/١٨٩٦م) من وظائف الحرم الشريف، وفي عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) حين تولى الشريف حسين بن علي(٤) إمارة

(١) الدهلوي: فيض الملك، ص: ١٥٣٧، ترجمة رقم: ٢٠٥٠.

(٢) الدهلوي: فيض الملك، ص: ١٦٣٥، ترجمة رقم : ٢٢٠٠؛ عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم، ص: ٣٢٧.

(٣) هو شريف مكة وأميرها عون الرفيق بن محمد بن عبد المعين بن عون، ولد بمكة ونشأ بها، وناب في إمارتها عن أخيه الشريف حسين، ثم توجه إلى اسطانبول فترة من الوقت، ثم عين أمير لمكة عام (١٢٩٩هـ/١٨٨٢م)، بعد انفصال الشريف عبد المطلب عنها، امتد سلطانه إلى الطائف، كان ذو سطوة ونفوذ، حصل على العديد من الأوسمة من الدولة العثمانية، منها رتبة أمير أمراء الروملي عام (١٢٨٤هـ/١٨٦٧م)، انظر: دحلان: خلاصة الكلام، ص: ٣٢٩؛ ابن منصور: جداول أمراء مكة، ص: ٨٢.

(٤) هو أمير مكة الشريف حسين بن علي، وقائدُ الثورة العربية الكبرى في مطلع القرن العشرين، وأوَّل من نادى باستقلال العرب من حكم الدولة العثمانية، أنتهى حكمه على الحجاز بتوحيد الإمام عبد العزيز بن سعود البلاد تحت مظلة حكمه، أما الحسين فقد توفي بالإردن عام ١٩٣١م. الزركلي: الأعلام، ٢/٢٥٠.

مكة عين الشيخ أبا بكر خوقير مفتياً للحنابلة، وذلك عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م)، ومدرساً بالمسجد الحرام، ثم عزله بعد يومين بوشاية بعض معاصريه[١]. وأعان هذا التفرغ الجبري الشيخ أبا بكر على الاشتغال بتجارة الكتب وقيامه بنسخ بعضها، يقول محمد رشيد رضا: (وكان رحمه الله قد اعتاد الاتجار بالكتب منذ عزله الشريف عون الرفيق من وظائف الحرم الشريف،.. وكان يدعو للشريف عون بالرحمة لإلجائه إلى تجارة الكتب التي تعينه على العلم، فكان يسافر إلى الهند يحمل إليها من مطبوعات مصر ومكة، ويعود منها ببعض مطبوعاتها)[٢]، وقصده الكثير من علماء مكة وطلابها منهم من يشتري كتباً، ومنهم من يحادثه في مسألة من المسائل حتى أصبحت مكتبة بمثابة منتدى علمي، يقول رشيد رضا: (وقد جلست إليه في مكتبته في باب السلام غير مرة، وكان مهذباً، رقيق الطبع، حسن المعاشرة، على شدته في دينه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، حتى إن مجلسه لا يخلو من دعابة ما في المفاكهة، ونكت أدبية وتاريخية..)[٣].

فامتهانه الوراقة ونسخ الكتب مع فتحه للمكتبة، يشير إلى حبه الشديد للكتب، وقد نسخ بخطه "كتاب الصلاة" لأحمد بن محمد بن حنبل وكتب عليها اسمه أبو بكر بن محمد خوقير، مذيلاً بـ"المكي الكتبي الحنبلي السلفي" سنة (١٣١١هـ/١٨٩٣م) بخط النسخ[٤].

---

(١) الدهلوي: فيض الملك، ص: ٢٠٥٢، ترجمة رقم: ٢٨٠١.

(٢) مجلة المنار، العدد ٣١، ص: ٢٣٠.

(٣) مجلة المنار، العدد ٣١، ص:٢٤٠.

(٤) أبو سليمان: فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص:٢٢٢.

ولم تكن مكتبات الوراقة مقتصرة على بيع الكتب، وأدوات الوراقة، فربما كان يباع فيها بعض المقتنيات الفنية، من صور عن مكة والحرم المكي الشريف ومجسمات للكعبة ونحو ذلك من المقتنيات، يصف لنا الرحالة كورتلمون[١]. (Jules Gervais Courtellemont) الذي زار مكة عام (١٣١٢هـ/١٨٩٤م) أحد دكاكين بيع أدوات الوراقة فيقول: (يوجد كتبي هندي في مقابل نافذة مسكننا، يقضي معظم وقته جالساً القرفصاء بداخل دكانه الصغير، مستغرقاً في تلوين المجسمات الهندية التي تمثل المدينة المقدسة الكعبة المشرفة ومختلف مراحل الحج، مستخدماً إزميلاً صغيراً جداً، يلون به بعض المناطق بلون أصفر كرومي ثم أتي دور اللون الأخضر القاتم... أنه رجل بسيط وسعيد يجمع بين مهنة الفن وبيع أوراق الرسائل والأقلام المصنوعة من القصب، والأوراق الملونة التي تستخدم في تزيين المقاهي أو البيوت، ويبع الصور أيضاً، يظل ساكناً في دكانه من طلوع الشمس إلى غروبها باستثناء أوقات الصلاة التي يقضيها في الحرم الشريف)[٢].

أثر الوراقة والوراقين على الحياة العلمية بمكة والنتاج العلمي بها:

لقد أثرت الوراقة على الحياة العلمية تأثيراً له أبعاده المختلفة، فإنه لم يكن الوراقون ينسخون الكتب التي يصنفها المكيون فحسب، بل كانوا ينقلون كذلك الكتب التي زخرت بها المكتبة الإسلامية في سالف عهودها، فكانت

(١) هو رحالة فرنسي مصور، نشأ بالجزائر، أسلم عام ١٨٩٤م، وحج، وكتب كتابه (رحلتي إلى مكة)، وتسمى عبد الله بن البشير وتوفي عن (٦٨) سنة في ١٣٥٠/٦/٢٠هـ/ ٣١ أكتوبر ١٩٣١م، انظر ترجمته في موسوعة وكيبديا، والترجمة التي وضعها له محقق كتابه (رحلتي إلى مكة).

(٢) كورتلمون: رحلتي إلى مكة، ص: ٨٩.

الوراقة وسيلة حفظ التراث الإسلامي والمكي بنسخ الكتب القديمة، فانتعشت العلوم من خلال حركة الوراقة هذه.

كما أن من إيجابيات الوراقة والوراقين: إعادة التراث المكي إليه مرة أخرى، فإنه ربما يمكننا أن نعزو ندرة الكتب القيمة في مكة إلى أن الحجاج يشترونها باستمرار(١).

وحيث تفرقت كتب المكيين هنا وهناك، فقد قيض الله من أعاد هذه الكتب، عن طريق النسخ، ومن ثم أوقفها على مكتبات مكة، فحين دخل عبد الستار الدهلوي مصر عام (١٣٣٢هـ/١٩١٣م) ومكث بها ثمان سنوات طالباً للعلم، عكف على مطالعة مخطوطات الجامع الأزهر ودار الكتب، فنسخ العديد من كتب التراث المكي لعل أهمها مخطوط "شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام" للفاسي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م) إذ وجدها بدار الكتب المصرية، فقام بنسخها عام (١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م)، ولم تكن بمكة آنذاك، كما نسخ "إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن وولاية قتادة"، للطبري وضمها مكتبته(٢).

كذلك نسخ عشرات من المخطوطات النادرة والنفيسة، كالأثبات والمشيخات والمعاجم والمسلسلات وكتب الطباق، نقلها معه إلى مكة، فمن هذه المخطوطات التي نسخها بمصر "صلة الخلف للروداني"، "أسانيد الفقيه ابن حجر الهيتمي"، "ثبت الشهاب النحراوي"، "برنامج شيوخ السيد مرتضى الزبيدي"، "ثبت الأمير"، و"ثبت الشنواني"، "ثبت الحفني"، "الأوائل السنبلية"، و"طبقات الشافعية للشرقاوي"، "العقد الفريد للأروادي"، "النفس اليماني والشموس الشارق"، وغير ذلك(٣). وأصبحت

(١) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص: ١٩٦.

(٢) جمعة: فهرس مخطوطات مكتبة الحرم، ص:٣، ٣٢.

(٣) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٣٠٥.

هذه الكتب كلها من ضمن مقتنيات مكتبته التي ضمت إلى مكتبة الحرم المكي الشريف بعد وفاته(١).

كما أسهمت الوراقة في نقل العديد من الكتب العلمية إلى الكثير من بقاع العالم لم يكن ليعلم بوجودها أحد، أو يحلم باقتنائها طالب علم، لندرتها وصعوبة الحصول عليها، وجهل الكثيرين بها.

أيضاً كانت الوراقة وسيلة لتكوين المكتبات الخاصة، والتي كانت عادة ما يتم وقفها على المكتبات العامة عند موت أصحابها، لعدم وجود من يحمل راية العلم من الورثة، أو رغبة أن تكون من باب الصدقة الجارية، أو العلم الذي ينتفع به فتكون وقفاً على العلم وطلبته طلباً للأجر والمثوبة من الله، وقد يقوم صاحبها بوقفها في حياته، إذا خاف ضياعها بعد موته.

ومن ذلك مكتبة صالح الحريري الأفندي الحنفي (ت١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م) وهو من مجاوري بيت الله الحرام، كان ذا صلاح وتقوى، تولى التدريس به، فانتفع به الطلبة، وكان من النساخين الذين تميزوا بجودة الخط وجمالة مع الدقة المتناهية في الكتابة والضبط التام، كتب بخطه الحسن كثيراً من الكتب والرسائل مع الضبط التام، وكانت لديه مكتبة عامرة بالكثير من الكتب أوقفها في حياته على مكتبة الحرم(٢). والظاهر أن مكتبته هذه كانت نتاج نسخه للكتب ومن النساخة، للنص في ترجمته على أنه قام بنسخ الكثير من الكتب.

بل ربما لم يكتفِ بعض المكيين بشراء الكتب، بل جاوز ذلك، إلى طلب نسخ الكتب لمكتبته، كما كان شأن: صالح عطرجي، فقد كان مهتماً

---

(١) وصية عبد الستار الدهلوي، مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف، رقم: ٢٥٦٩، ق١. ٢.

(٢) الدهلوي: فيض الملك، ص: ٧٠٦، ترجمة رقم: ٨٤٨.

بطلب نسخ المخطوطات وجمعها في مكتبته الخاصة، ومما طلب نسخه: "الذخائر الأشرفية في ألغاز السادة الحنفية" لعبد البر بن محمد ابن الشحنة (ت٩٢١هـ/١٥١٥م) في الفقه الحنفي(١).

ومن يطلع على فهرس مخطوطات الحرم والمتصفح لكتب العطرجي التي طلب نسخها يجدها أن معظمها في الخط الفارسي الجميل، وعلى ورق جيد، فهو كان يبتغي أجمل الكتب لمكتبته.

طباعة الكتاب المكي(٢):

بدأ النساخون يقل دورهم الفعلي على الساحة العلمية بمكة مع ظهور الطباعة في العالم الإسلامي، فغزت الكتب المطبوعة بالهند ومصر أسواق مكة، ثم دخلت المطابع مكة، وبدأت تطبع المؤلفات، ليبقى اسم مكة على الكتب في المعمورة.

وقد رأى المكيون فوائد الطباعة عن قرب، فحرصوا على طباعة الكتب، يدفعهم في ذلك عدة أسباب منها:

أن الطباعة في المطابع أسرع من طريقة النسخ اليدوي، وأنفع وأكثر مقارنة بأعداد النسخ وجمال الخط، ودقته بعد المقابلة والتصحيح، فإنه إذا طبعت الكتب بطريقة صحيحة فإنها تكاد تكون خالية من الأخطاء والتحريف، فتصل إلى شريحة كبيرة من الناس مما تعظم به المنفعة والفائدة، ناهيك أن الطباعة في الجملة أقل تكلفة من النسخ مما يسهل اقتناء الكتب، ونشر العلم والمعرفة.

---

(١) جمعة: فهرس مخطوطات مكتبة الحرم، ص١٥، ص٥٩.

(٢) ظهرت الطباعة في اسطانبول في عهد السلطان أحمد الثالث، بعد فتوى شيخ الإسلام عبد الله أفندي وعلماء العصر بالجواز، انظر في تفاصيل ذلك: جودت باشا: تاريخ جودت، ص:١٥٢.

إن الطباعة تضاعف من الإنتاج الفكري، وتوسع من مقتنيات المكتبات، لسهولة القراءة والمطالعة والبحث فيها.

ولقد أدى انتشار الكتب بمكة عن طريق طباعتها بالمطابع إلى زيادة إقبال الحجاج والمعتمرين على شرائها، كأحد السلع الرائجة، مما أدى إلى وجود حركة نشطة في المكتبات الموجودة بالأسواق، كسوق باب السلام، التي أصبحت من أكبر الأسواق رواجاً في مكة.

ولكن في المقابل كان لظهور الطباعة أثره على النساخين ومهنتهم، فكلما انتشر الكتاب المطبوع، وسهل الحصول عليه، وكان مقابلاً مصححاً، فإن رخص ثمنه، وجودة خطه، جعلت الناس ينصرفون عن عملية النسخ المعتادة، حتى ندرت شيئاً فشيئاً.

كما كان العلماء المكيون من السباقين للاستفادة من الطباعة التي انتشرت خارج البلاد في بعض بلدان العالم العربي والإسلامي، كمصر ولبنان والهند، فراحوا يطبعون مؤلفاتهم في هذه المطابع، وذلك قبل دخول المطابع إلى مكة(١).

فممن طبعت مؤلفاتهم في القاهرة على سبيل المثال: شيخ المالكية بمكة أحمد بن رمضان المرزوقي (ت١٢٦٢هـ/١٨٤٥م)، فقد طبع له بعد وفاته "تحصيل نيل المرام لبيان منظومة العوام" و"عصمة الأنبياء" و"عقيدة العوام" وقد طبعت عام (١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م) في مطبعة شاهين، وفي عام (١٢٨٦هـ/١٨٦٩م) تم طبع كتاب "بلوغ المرام لبيان ألفاظ سيد الأنام" بطبعة بولاق(٢).

---

(١) الخطيب: القول التحيف ق٧، ٢١.

(٢) الدهلوي: فيض الملك، ص: ٢١٤، ترجمة رقم: ١١٨؛ طاشكندي: الطباعة في المملكة، ص: ١٨.

ومنهم من كحل عينيه بالنظر في نتاج علمه كتاباً مطبوعاً بين يديه كأحمد زيني دحلان (ت١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) طبع "رسالة" في معنى قوله تعالى: {ما أصابك من حسنة فمن الله}[١]، بمطبعة شرف عام (١٢٩٨هـ/١٨٨٠م)[٢]، كذلك طبع أبو بكر شطا (ت١٣١٠هـ/١٨٩٢م) كتابه "قصة المعراج" في أحد مطابع القاهرة عام (١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م)[٣].

كما أسهم العديد من أعيان مكة وعلمائها في تمويل طباعة الكتب المكية والعمل على نشرها، منهم السبعة الذين أسهموا في تمويل نشر الطبعة الأولى من كتاب "خزانة الأدب" للبغدادي، التي صدرت عن المطبعة الأميرية في بولاق، وقد وردت الإشارة إلى أسمائهم في خاتمتها، ومنهم: العلامة المحدث المفسر مفتي مكة عبد الرحمن سراج (١٢٨٤هـ/١٨٦٧م)،[٤]، وقد ذكر المغربي أن عبد العزيز الرفاعي علق حول ذلك الأمر فقال: (وقد أكبرت وجود هذا الوعي والحرص على نشر كتاب الخزانة، وأن يكون متوفراًُ في العصر العثماني، الذي كان يغلب على القوم فيه أدب الصنعة والترصيع، ولكن ها نحن نجدهم يدفعون بدراهمهم القليلة في سبيل نشر كتاب كبير بالغ التكلفة، ويتوزعون نفقته قراريط)[٥].

---

(١) سورة النساء، آية ٧٩.

(٢) الدهلوي: فيض الملك، ص: ١٨٥، ترجمة رقم: ٧٠؛ طاشكندي: الطباعة في المملكة، ص: ١٩.

(٣) الدهلوي: فيض الملك، ص: ٣١١؛ ترجمة رقم: ٢٦٣؛ طاشكندي: الطباعة في المملكة، ص:١٩.

(٤) الدهلوي: فيض الملك، ص:٣٥٥، ٢٠٥٨. وهم: عبد الرحمن الميمني، وأحمد مشاط، وعبد الرحمن الشيبي، وحسين بن عبد الله الميمني، وأبو طالب الميمني، وعبد الله بن محمد الباز الكتبي.

(٥) مغربي: أعلام الحجاز، ٣/ ٣٤١. ٣٤٢.

ولم يكتفِ العالم المحدث المدرس بالمسجد الحرام: الشيخ أبو بكر خوقير (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) بجلب الكتب من الهند ومصر وبيعها بمكة بل أسهم في نشرها، فطبع على نفقته في القاهرة "خلاصة الكلام" لأحمد زيني دحلان عام (١٣٠٥هـ/١٨٨٧م)[١].

المطابع بمكة:

ظل المكيون يحرصون على شراء الكتب المطبوعة في بعض بلدان العالم الإسلامي، حتى صار الحلم بوجود مطابع مكية أمراً حقيقياً، فقد شهد عام (١٣٠٠هـ/١٨٨٢م) دخول أول مطبعة حكومية في مكة؛ بل في الحجاز عامة، حيث استحضرت الحكومة العثمانية مطبعة رسمية إلى مكة[٢]، وسميت بـ "مطبعة الولاية" أو المطبعة الأميرية"[٣]، وقد شيد لها مبني مكون من طابقين، الأول عبارة عن صالة ضخمة تضم آلات المطبعة، والدور الثاني مكون من غرف تستعمل للصف والتجليد والإدارة, ويقع المبنى خلف الدائرة الحكومية أو ما يعرف بالحميدية الواقعة مقابل باب الوداع للحرم الشريف، وأطلق على المطبعة حين نشأتها اسم "حجاز ولايتي مطبعة سي"، ومرت بعدة مراحل، فبعد أن كانت مطبعة صغيرة، مكونة من ثلاث مكائن تدار بالقدم، يديرها موظفان اثنان عام (١٣٠٠هـ/١٨٨٢م)، استحضرت الحكومة العثمانية عام (١٣٠٢هـ/١٨٨٤م) من فيينا آلة طباعة متوسطة ذات عجلة واحدة، مزودة بكمية من الحروف المختلفة، لكي يتسنى طباعة الكتب العربية والتركية والجاوية والملاوية والفارسية والهندية[٤]، ثم

(١) الدهلوي: فيض الملك، ص: ٢٠٥٢، ترجمة رقم: ٨٠١؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٣٣.

(٢) الشامخ: نشأة الصحافة، ص: ١٢. ١٤.

(٣) الدهلوي: فيض الملك، ص: ٧٩٣.

(٤) محمد أمين المكي: الآثار المبرورة، ص:٩.

استحضرت الحكومة بعد عدة سنوات من أوروبا آلة طباعة حجرية، مقاسها ٥٠ في ٧٠ سم، وأطلق عليها "المطبعة الأميرية" [١].

وشمل العمل فيها: الصف والتوضيب، التصحيح والمراجعة والتجهيز، ترتيب الملازم والتجليد، كما أن جل العاملين في المطبعة من أبناء مكة ممن جرى تدريبهم، وتأهيلهم على العمل الفني والتحريري فيها، إضافة إلى أعمال التصحيح بالعربية وغيرها، فمن أشهر المصححين الذي اشتغلوا فيها: الشيخ عبد الحميد بن عبد الغني فردوس المكي الحنفي، الفقيه النحوي، كان عالماً، محققاً، مدققاً، له قدم التمكين في العلوم والرسوخ، متضلعاً في فنون كثيرة له جملة هوامش على الكتب الدراسية، عمل مصححاً بالمطبعة الأميرية بمكة، "فلا يقبل إلا قوله، والمرجع إليه غالباً في غالب الأوقات وسائر الأقوال؛ لسعة اطلاعه، ومديد باعه، وثقة معرفته لبراعته وتفوقه"[٢].

(١) طاشكندي: الطباعة في المملكة، ص:٣٧.

(٢) الدهلوي: فيض الملك، ص: ٧٩٣، ٧٩٤، ترجمة رقم: ٩٦٠. توفي الشيخ عبد الحميد قدس سنة ١٣٥٢هـ.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،،،

قد تجولت في بحثي هذا بين رياحين تراجم العلماء من خلال كتاب (فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي)، للشيخ عبد الستار الدهلوي (ت١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م) . أقتطف من تراجم هذا الكتاب ما يشير إلى صناعة الكتاب المكي في تلكم الفترة، وقد توصلت في بحثي إلى عدة نتائج، ومن أهمها:

- كانت صناعة الكتاب المكي ظاهرة في فترة البحث، بكل صورها، فقد ظهر العديد من النساخ ممن امتهن هذه الحرفة، وكثير منهم كان من العلماء ممن لهم مؤلفات كثيرة.
- ظهرت أنواع الخطوط المختلفة في كتابات النساخ المكيين، من خط النسخ المعتاد، والنسخ الجميل، والرقعة، وغيرها، كما استخدم مع الحبر الأسود في كتابة الكتب الاخبار الملونة كالأحمر وشاع استخدامها في كتابه العناوين في كتابه العناوين.
- اعتنى المكيون بالتحشية والتقييد والتقرير على الكتب التي تدرس بالمسجد الحرام، ولاسيما كتب الفقه والحديث.
- ازدهر سوق الوراقة والوراقين، فنشطت حركة صناعة الكتاب المكي بصورة مطردة.
- كما ظهرت أنواع من صناعة الكتاب المكي من خلال اشتغال العلماء المكيين (أو من جاور من العلماء بمكة) بتصحيح الكتب أو ترجمتها أو بيعها، أو جمع الخزائن العامة والوقفية.
- ظهر في الحرم المكي ساحات لنسخ الكتب العلمية، وكان ثمة أسواق لبيع الكتب قرب المسعى، وبيع فيها كذلك أدوات الكتابة من الأقلام والمحابر وغيرها.

- أنشئت مبكراً بمكة المطابع، وصارت الكتب تطبع بها، وأشرف العلماء على هذا المطابع، وصارت الكتب تصحح وتنقح قبل طبعها، مما جعل الكتاب المطبوع بمكة ذو جوده وقيمه.

التوصيات والمقترحات:

- البحث حول صناعة الكتاب المكي في فترات زمنية أخرى.
- عمل دراسة حول صناعة الكتاب المدني، فقد ظهر في تراجم المدنيين خاصه والحجاز عامه من خلال كتب التراجم.

وبالله التوفيق، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

المصادر المخطوطة:

- الخطيب: أحمد. القول التحيف في ترجمة تاريخ حياة أحمد خطيب بن عبد اللطيف، مخطوط بمكتبة مكة المكرمة، رقم :١١٦.
- الدهلوي: عبد الستار.

– "فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي"، مكتبة الحرم المكي الشريف، رقم : ١١٠١.

– مائدة الفضل والكرم الجامعة لتراجم أهل الحرم"، محفوظ بمكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم ٢٧٧٧/ تراجم دهلوي. "وصية عبد الستار الدهلوي"، مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف، رقم: ٢٥٦٩

المصادر المطبوعة:

- ابن فارس: أحمد بن زكريا. معجم مقاييس اللغة، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، ط١، بيروت، دار الفكر: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- ابن منظور. لسان العرب، بيروت، دار صادر: ١٩٦٨م.
- ابن الحاج: محمد بن محمد العبدري. المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات، والتنبيه على كثير من البدع المحدثة والعوائد المنتحلة، ط١، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي: ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.
- ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي. تفسير القرآن العظيم، القاهرة، مكتبة دار التراث.
- الأزرقي: محمد بن عبد الله. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس ط٢، مكة، دار الثقافة: ١٣٨٥هـ.
- البخاري: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح، ط١، دار الفكر: ١٤١١هـ/١٩٩١م؛ ط١، الرياض، دار السلام: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- بيلا: زكريا. الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء والأعيان من اساتذة وخلان، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع موسوعة مكة الكرمة والدينة المنورة، ٢٠٠٦م.
- الترمذي: محمد بن عيسي. السنن "الجامع الصحيح:، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، دار الكتب العلمية.
- جودت باشا: أحمد. تاريخ جودت، تعريب عبد القادر أفندي، تحقيق عبد اللطيف بن محمد الحميد، ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- دحلان: أحمد زيني. خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام حتى عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤، ط١، القاهرة، المطبعة الخيرية: ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م.
- الدهلوي: عبد الستار.

– فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

– نثر المآثر فيما أدركت من الأكابر، تحقيق:، دار الأمل، القاهرة، ط١، ٢٠٢٤م.

- الرازي: محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح، بيروت، دار الكتاب العربي: ١٩٦٧م.
- الزركلي: خير الدين. الأعلام، ط٥، بيروت، دار العلم للملايين: ١٩٨٠م.
- سالنامه ولاية الحجاز. ع٢، س ١٣٠٣هـ.

- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. تدريب الراوي، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
- الغزاوي: أحمد بن إبراهيم. شذرات الذهب، ط١، جدة، اصدار مجلة المنهل: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب. القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- الفيومي: أحمد بن محمد بن علي. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت، المكتبة العلمية.
- القاري: على ملا. المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية، مكة، المطبعة الأميرية: ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م.

المراجع العربية والمعربة:

- باسلامة: حسين عبد الله. تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم، جدة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- أبو سليمان : عبد الوهاب بن إبراهيم. العلماء والأدباء الوراقون في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري، (ط١، الطائف، نادي الطائف الأدبي: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- أبو سليمان: عبد الوهاب إبراهيم وآخرون. فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- أبو سليمان: محمود سعيد بن محمد ممدوح. تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع أو "إمتاع أولي النظر ببعض أعيان القرن الرابع عشر"، القاهرة، دار الشباب للطباعة.
- بوركهارت: جون لويس. رحلات في شبة جزيرة العرب، ترجمة عبد العزيز بن صالح الهلابي وعبد الرحمن الشيخ، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- الشامخ: محمد عبد الرحمن. نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية، ط١، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر: ١٩٨٢م.
- صابان: سهيل. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- صالح : محمد وَ أحمد جمعة:. فهرس مخطوطات مكتبة الحرم، مكة، مكتبة الحرم المكي الشريف.
- طاش كبرى زادة: أحمد بن مصطفى. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في العلوم، بيروت، دار الكتب العلمية.
- العثيمين، عبد الله الصالح. تاريخ المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، الرياض ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- الطاشكندي: عباس بن صالح. الطباعة في المملكة العربية السعودية "١٣٠٠هـ. ١٤١٩هـ"، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- فهد: بدري محمد. دور الوراقين في نشر المعرفة، مجلة الزخائر، س ٣، ع ٩، لعام ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- القلعجي: محمد رواس. معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- كحالة: عمر رضا. معجم المؤلفين، القاهرة، مؤسسة الرسالة؛ ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- كورتلمون: جيل جرفيه. رحلتي إلى مكة، ط١، الرياض، مؤسسة التراث: ١٤٢٣هـ.
- المختار، صلاح الدين: تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م

- مجلة المنار، العدد ٣١.
- مجلة كتاب عالم الكتب، العدد ٤٠، جامعة كاليفورنيا، ١٩٩٣.
- مجموعة من العلماء. معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- مداح: أميرة وصفي. دور المجاورين في إثراء الحركة العلمية بمكة خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ندوة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، جامعة أم القرى.
- المعصومي: محمد. ذكريات طريفة عن بعض كبار العلماء في مكة في الجيل الماضي، عرفت هؤلاء الرجال، مجلة الحج، ج٤، س ٦، شوال ١٣٧١هـ/يوليه١٩٥٢م.
- مغربي: محمد علي. أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، ط١، جدة، مطبوعات تهامة:١٩٨١م.
- الموسوعة العربية الميسرة. بيروت، دار إحياء التراث الإسلامي: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- الهيلة: الحبيب. التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن "٣ هـ . ١١ هـ"، ط١، مكة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي: ١٩٩٤م.